نفثات القلم

على

يدِ العلم

وهي

مجموعة ما عثرنا عليه من تواريخ وقصائد وبعض مقالات فلسفية

من قلم الكاتبِ النحرير والشاعر المجيد

المونسنيور يوسف العَلَم

النائب الاسقفي في ابرشية بيروت

في ١ تموز سنة ١٩٠٧

Nafathat

نفثات القلم

على

يدِ العلم

وهي

مجموعة ما عثرنا عليهِ من تواريخ وقصائد وبعض مقالات فلسفية

من قلم الكاتب النحرير والشاعر المجيد

المونسنيور يوسف العَلَم

النائب الاسقفي في ابرشية بيروت

في ١ تموز سنة ١٩٠٧

بيان

قال صاحب هذه النبذة إني أخذتُ انظم الشعرَ من ايام وجودي في المدرسة من نحو أربعين سنة ولكني أغفلتُ ايداع أشعاري حافظة تحفظها الى حين الاقتضاء فضاع منها كثيرٌ وفي هذه المدّة الاخيرة ألحّ عليَّ بعضٌ من الاخوان والخلّان أن أجمع ما نظمتُ من التواريخ والقصائد الأدبيَّة التي لاقت من شبَّان العصر إقبالًا حتى حفظها بعضهم عن ظهر قلوبهم وكانوا ينشدونها أينما وُجدوا ومثلها بعض مقالاتٍ ألقيتها في أوقاتها فاستحسنها أهل الذوق السليم وكلهم طلبوا جمعها ونشرها مطبوعةً وقد بقي غيرها بدون طبعٍ لما تقدَّم ولعلَّنا متى وجدنا ما فقد من نظمنا ونثرنا من مثل هذه المجموعة نتبعهُ بها جزءًا ثانيًا إن شاء ٱلله

في ١ تموز ١٩٠٧

تاريخ بناء كنيسة الكاتدرا على اسم مارجرجس في بيروت

كنيسةَ الحقّ لا تخشى مقاومةً من الجحيم فانّ الله بانيكِ
وأنتِ بيروت هل فاتتكِ مأثرةٌ من المآثر عهدَ الدبسِ راعيكِ
بَنى سُليمانُ للرحمانِ هيكلهُ وحبرُنا شاد هـذا في مبانيكِ
في ظلّ «سلطاننا عبد الحميد» نرى مَعاهِـدَ الدين تعلو في تَعاليكِ
فسبّحي الله مولانا بمقدَسهِ وَهل سوى الدين في الاهوال واقيكِ
على فمِ الحوت أرّخنا شواهدهُ لُوذي بجرجسَ ربِّ الرمحِ حاميكِ

١٨٩٥

تاريخ لبناء كنيسة مارمارون في بيروت

يا امّةً بالدينِ أشرقَ مجدُهـا وجَمَا لُها بين الكنائس أزهرا
أثني على مَطرانكِ الدبسِ الذي تَبقى مآثرهُ لفخرك مظهرا
وأُدعي جُموعَكِ ان يُحيّـوا ما حيوا هـذا مقام ابيهم السامي الذُرى
مارون من نادى الزمان بفضلهِ وبذكـرهِ التاريخ فاح معطّـرا
وليذكروا معـهُ تلامذةً لهُ بدمائهم صكَّ الشهادة سُطّـرا

أصغوا اليه يا بنيهِ انهُ ما زال يسمعكم نداهُ مكررا
عنّي خذوا وبيَ أنظموا تاريخكم وتحدثوا بكرازتي بين الورى

سنة ١٨٧٤

تاريخ لضريح المرحوم فرانقو باشا متصرف لبنان

ومدفنهُ في الحازمية

يا آل لبنان قد اودعتكم جسدي والحب يودع في ترحالهِ أثرا
انا فرانقو وباشا كنت بينكمُ ومضجعي ههنا يبقى لكم خبرا
فموت من سلفوا وعظٌ لمن خلفوا وعبرةٌ تلكَ سعدًا للذي أعتبرا
تبايَن الناسُ في الدنيا وعقبتها أرّخ تسوّي الورى في الرمس طيّ ثرى

سنة ١١٧٢

تاريخ للمرحوم يعقوب ثابت

المدفون في عين سعادة في ضريح والده المرحوم يوسف ثابت

سقاكَ الحيا يا رمس يعقوب كلَّما بكى العصرُ ذا فضلٍ بهِ كان يفخرُ
بني ثابتٍ لا تندبوا فقدَ راقدٍ بانجالهِ الاخيار ما زال يُنشرُ
ثوى مع ابيهِ طيَّ رمسٍ حسدتهُ على دُرَرٍ في باطنِ الارضِ تُطمَرُ
تضمهما عين السعادة ارخوا وعهد لقا يعقوب يوسف تذكرُ

سنة ١٨٨٠

١٧٤٧ [illegible]

[illegible]

١٨٧١ [illegible]

[illegible]

تاريخ للمرحوم يوحنا الدبس

شقيق سيادة المطران يوسف الدبس السامي الشرف

« دفن في كنيسة مار مخائيل بيروت »

ببيت الله قد احببت سُكنى   مدى الاجيالِ لا يومًا وشهرًا
تشاركُ عابدين الله فيه   عظامي بانتظاري اليومَ نشرا
فيا وطني العزيز عليك مني   سلامٌ فاحتفظْ لي فيك ذكرا
امطراني شقيقي دمتَ ساوى   لاولادي واخواني وفخرا
ولما كان يوحنًّا شفيعي   رجوتُ بظلّه ملجًا وسترا
هي الدنيا وخمرتها المنايا   تدورُ بكأسها والكل سكرى
ألَا لا كان تاريخي بدهرٍ   أمن دبسٍ تذوق اليوم مرًّا

سنة ١٩٠٢

تاريخ لولده توفيق الذي مات يافعًا

من آل دبسٍ ثوى في طيه رشأ   حاكي هلالٍ قُبيلَ التمّ ممحوقِ
فبات يبكيه يوحنا ابوهُ دمًا   اذ شارك الطرفُ قلبًا يوم تمزيقِ
وصاح في منتهى التاريخ يانكدي   أرى الحيوةَ كموتٍ دون توفيقِ

سنة ١٨٨٤

تاريخ للمرحوم بطرس الدبس المدفون مع شقيقه المرحوم
يوحنا المذكور آنفًا في حجرة واحدة في كنيسة القديس مخائيل

من بحر ذا الدهر قد ناديتُ ملتمسًا　　لقياكَ مولايَ والآمال ما خُذِلَتْ
فجئت هيكل ميخائيل يشفع بي　　حيث الشفاعةُ منه عندكَ اُقتُبلتْ
وعيلةُ الدبس من حوليَّ نائحةٌ　　نوح الحمائم اذ زفراتُهـا اشتعلتْ
جنبي شقيقي وبطن الارض يحضننا　　كأننا في حشى امٍّ بنـا حَبلتْ
مُرْني على الماء ان آتيك في عجلٍ　　لكن على غَرَقي ريحُ الردى حملتْ
اجاب هيًا ولا تحفل بعاصفةٍ　　ان العواصف امري طالما اُمتثلتْ
وان تشأ آيةً عني تؤرخها　　عليكَ «بطرس من بحرٍ يدي اُنتشلتْ»

سنة ١٩٠٦

تاريخ للمرحوم داود سعد ابن شقيقة حنا وبطرس
الدبس المذكورين ولهُ اخ يدعى حبيب

لا تنسَ يا جليات جبَّار الوغى　　حجر الفتى داود في حوماتهِ
واعلمْ بانَّ الله ينصرُ عبدهُ　　ايًّا نمًا استدعاهُ ضدَّ عداتهِ
داودُ قـد اضنى حبيبك المدى　　لقيا نزالٍ ليس في ميقاتهِ
يا قوم سعد من لنا بوسيلةٍ　　تُنجي فتاكم من قيود وفاتهِ
قولوا كما قال المؤرخ نائحًا　　مزمورهُ الخمسين في رحماتهِ

سنة ١٩٠٣

تاريخ ولادة نجيب نجـل سليم بك الجاخ

سليمَ جاخٍ رُزِقتَ اليوم عن كرمٍ　　نجلًا تقلَّد من بدرٍ قلائدهُ

فقرَّ عينًا فمن عينيهِ شاهدةٌ　　ملائح النجب مـا أحلى شواهدهُ

للمكرمات التهاني فيـهِ ننظمها　　وللكرام اخٌ يُصفي مواردهُ

احياهُ مولاهُ تاريخًا نقولُ بهِ　　هذا نجيب وهـذا فاق والدهُ (١)

سنة ١٨٩٤

تاريخ لولادة ولده مارون وكان بوقته والده سليم بك رئيس اخويَّة مار مارون وهو من الاطبَّاء المشهورين.

يا مَن جعلت النسل مظهر أصلهِ　　مع انك المبدي الوجود من العدَمْ

احفظ سليمًا من دعاكَ لطبهِ　　وبذكرك أُستشفى السقيم من السقمْ

بارك سلالته ببركات الأُلى　　شادوا لأمَّتهم فخارًا في الامَمْ

بابيهم مارون سمَّى نجلهُ　　متيمنًا باسم تسامى في العظمْ

وعليـه اسَّس مع لفيف رفاقهِ　　اخويةً قامت على اقوى قدَمْ

فاتاهُ هـذا النجل وهو رئيسها　　ولشاكر الاحسان تزداد النعمْ

يا ايها المولود عشت مدرجًا　　بمدارج المجـد الرفيع من القدمْ

سِر سيرَ والدك القويم مؤرخًا　　واقرأ «فمَنْ يشبهْ اباهُ فما ظامْ»

سنة ١٨٩٥

---

(١) اشار الناظم الى المثل المتعارف « ابن النجيب لا ينجب وان نجب فاق اباه »

تاريخ ولادة راجي فؤاد بك غندور السعد

غندورَ عزٍّ اراكَ الحظُّ اربعةً　　من البدور تردُّ الارض افلاكا
في طالع السعد هيَّا الله مطلعهم　　والسعد قارن مسعاهم ومسعاكا
فرِّحْ فؤَادكَ فيهم فالحبيب يرى　　من النجيب مراداً مثل مرآكا
تمت زوايا لبيت شدت مرتفعاً　　تدومُ فيه مدى الاجيال ذكراكا
بَني بنيكَ ترى عيناكَ مبتهجاً　　واليوم من بكرهم ذا النجل حياكا
هبْهُ دعاءكَ والتاريخُ راجمهُ　　يا راجي السعد وفَّى الله مبغاكا

سنة ١٨٩٥

تاريخ كنيسة مار لويس في حيفا

بناها سليم وابراهيم الخوري نصرالله من مالهما

لَويسُ في الدين والدُّنيا مآثرهُ　　والغربُ والشرقُ من احكامهِ انتفعا
للذكر من آلِ نصرالله هيكلهُ　　هذا سليمٌ وابرهيم قد رفعا
في ظلّ سلطاننا عبد الحميد نَرى　　كلاًّ لعظمتهِ أَضحى يقيم دعا
قد صحَّ ما قيل والتاريخ شاهده　　«ما احسن الدين والدنيا اذا اجتمعا»*

سنة ١٨٨٩

* يريد الناظم بهذا البيت الاخير ان صاحب المقام ومَن بَنوه ومن رخص باجازة بنائهِ كلهم يصح فيهم قول الشاعر : ما احسن الدين والدنيا اذا اجتمعا

تاريخ دير بصرما وكنيسة سيدة النجاة فيهِ
بناه المرحوم القس دانيال العلم

بمقام سيدة النجاة تحصَّنوا　　فيهِ لكم من كلّ شرٍّ مأمنُ
يا صفوة النساك يا خير الورى　　سعداً لكم والسعد معكم يقطنُ(١)
وعليك دانيال يا علم التقى　　ذا الدير يثني حيث فضلك يعلنُ
يا مَن أتى عنهم يؤرخ قل هنا　　بمقام سيدة النجاة تحصنوا

سنة ١٨٨٦

تاريخ للمرحوم الخوري بولس العلم المدفون في كنيسة
مار الياس براس بيروت التي خدمها ٢٥ سنة

ياراس بيروت قد جازت بخدمتكم　　خمس وعشرون من عمري بلا سأمِ
واليوم امضي ولكن لم يكن أسفي　　اوفى على رمقي منهُ على غنمي
بالله يا بولس المختارُ صُن كرماً　　عبداً سَمِيّك والاسماءُ كالذممِ
ها كم وداعي وذا التاريخ جآءَ بهِ　　غمّي لهجرانكم نارٌ على العلَمِ (٢)

سنة ١٩٠٣

(١) اشار الناظم الى المثل اللاتيني وهو : « ان السعادة مع الوحدة »
(٢) اراد بهذا التاريخ ان حزنه لفراقهم نار عليه او هو مشهور كنار على عَلَم

تاريخ للمرحوم فارس نصّار بكفيا الذي مات غدرًا واغتيالًا

من آلِ نصّارٍ ترامى فارسٌ   لقيامه جمعُ الملايكِ بادروا
نادى بنا عند الوداع مؤرخًا   ان الزمان لماكرٌ فتحاذروا

سنة ١٨٦٧

تاريخ لمقبرة بكفيا وهو اول تاريخ من نظم صاحب الديوان

قد شادتِ الحكما اماكن انذرت   عن زخرف الدنيا تبين مآلهُ
كشفت لنا ان الغنيَّ كبائسٍ   اضحى وقد فقد الجميلُ جمالهُ
فتأمّلوا يا عابرين وارّخوا   هذهْ اماكنُ مَن قضى آجالهُ

سنة ١٨٦٢

تاريخ للسعيد الذكر المطران يوسف حبيش الباني لدير مار جرجس ساحل علما

ما مات حبر قد توارى في الثرى   ولهُ مآثر في البريّة خالدَهْ
دير بناهُ ومار جرجس سورهُ   ولكم تحصَّن ضمنهُ من عابدَهْ
نادَتْ حبيشُ بمن رأى تاريخه   فيهِ لَأشكرُ فضل يوسف حامدَهْ

سنة ١٨٨٠

تاريخ للمرحوم الشيخ شيبان نور الخازن
وكان طبيبًا بارعًا

نفذَ القضاءُ فيا عشيرةَ خازنٍ   صبرًا وفي ايّ الورى لم ينفذِ
شيبانُ ماتَ فارّخوا بوفاتهِ   ماتَ المداوي والمداوي والذي

سنة ١٨٧٢

تاريخ للمرحوم ارسانيوس الخوري كور وقد تولّى الاحكام
في جميع محاكم لبنان وكان مشهورًا بعدالته

قضى مَن كان قاضي العدل عمرًا   لهُ في كل محكمة شهودُ
توقّد في حشا البترون كورٌ   وهبّ بسائر الاحشا وقودُ
على ارسانُس رحماتُ ربي   تجود فكان للمُضنى يجودُ
عدانا تاركًا ذكرًا جميلًا   ونجلًا ذكر والدهِ يُعيدُ
سالناهُ لحكم الموت فيهِ   ردودًا علّ منها نستفيدُ
على شفة المؤرخ قال ويح   قضاءُ الموت ليس لهُ ردودُ

سنة ١٨٨٢

تاريخ للمرحوم حنا بك صعب الاسعد

يا آل صعبٍ بكيتمُ فرعَ اسعد كم   شهمًا بكى من نواهُ العربُ والعجمُ
بيك للبنان أبقى في حكومته   اثار صدقٍ رواها الخصمُ والحكمُ
كفُّوا مناحةَ مدفونٍ بتربتهِ   ما كل ميت طواه الرمس والرممُ
يحيى بتاريخهِ باقٍ وشاهدهُ   السيف والخيلُ والقرطاس والقلمُ

سنة ١٨٩٦

تاريخ للمرحوم الشيخ سركيس الضاهر وهو مدفون في حجرة خاصته داخل كنيسة عرجس

ياغيثُ إن تضنن بسقيك حجرةً   فلطالما سُقيت دموعَ محاجرِ
اذ حلَّ فيها من خيار عشيرة   شهم عليهِ بكت عيون عشائرِ
سركيسُ من ابقى بحسن فعالهِ   وبنجله ذكرًا وخيرَ مآثرِ
طودُ المكارم دُكَّ فيهِ فأرّخوا   تبكي المكارم دكَّ ابنُ الضاهرِ

سنة ١٨٧٨

تاريخ للمرحوم الخوري سمعان العلم المدفون في كنيسة المدرسة وقفيته بداريّا

أَلَا زُرْ هيكلًا سمعان فيهِ   توارى كهفَ إخباتٍ ونسكِ
ومن حوليهِ كل الشعب يبكي   على عَلمٍ يُدكُّ وايُّ دكِّ
قَضى مَن عمره تسعين عامًا   بسلك فضائل اكرم بسلكِ

لاجل البر خصَّص مقتناهُ   وجاد بنفسهِ من دون ضنكِ
وفي تاريخه ناداه رب   هلمَّ الان خُذْ ملكًا بملكِ

سنة ١٩٠٣

تاريخ للمرحوم الشيخ جرجس الضاهر

وارى الثرى من كان ما بين الورى   مجلى المفاخر طيّب الاثارِ
وبنوهُ هم نعمَ الدليل لفضلهِ   وادلة الأشجار بالأثمار
يا آل جرجس ضاهرٍ فتصبروا   ان المصيبة من قضاء الباري
وتذكروا قول الحكيم مردّداً   «حكم المنيَّة في البرية جاري»
كم من منايا ارّخت اسفارها   «ما هذه الدنيا بدار قرارِ»

سنة ١٩٠٤

تاريخ للمرحوم لويس طربيه (عين سعل)

بهذا الرمس وارينا هماما   مواراة المهنَّد منهُ غمدا
وما يُردي المهنَّد ضمن غمدٍ   وذا من غمدهِ للقلب أردى
عليك لويس طربيهٍ بكينا   «بعينٍ» لا تزال عليك رمدا
تقبَّل يا ابا الأَيتام منهم   سلامًا من صميم القلب قُدَّا
ومن عرفوكَ أَرّخنا هماما   لفضلك سطَّروا شكراً وحمدا

سنة ١٩٠٣

تاريخ للمرحوم ابرهيم شلهوب (راس كيفا)

بَني شلهوب افجعكم عزيزٌ　　توارى طيَّ هذا الرمس لحداَ
وابقى عندكم ذكراً ونجلًا　　كما ابقى له الرحمان عهداَ
خليل الله لا يخشى وبالاً　　لايمانٍ تسامَى فيه مبدأ
وها نعماهُ في التاريخ تمَّت　　على أُبرهيم ردَّ النار بردا

سنة ١٩٠١

تاريخ امين بك طربيه مات وهو من اعضاء مجلس الادارة في متصرفية لبنان

حكَّام لبنان قد خانت أمينكمُ　　سودُ الليالي وفي ذا السجن منطرحُ
من آل طربيه عينٌ كان معتبراً　　عين الوفآء وكم عينٍ لنا شَبحُ
بكى اليتامى بكا الابنا وامهمُ　　وطالما أذكروا نعماهُ وامتدحوا
رعى الملائكُ من ألفاهُ سيدهُ　　عبداً امينًا جزاهُ معهمُ الفرحُ
اسفارنا أرخوها صاحِ شاهدةٌ　　ان الأمين لفي الدارينِ ممتدحُ

سنة ١٩٠٠

تاريخ للمرحومة «خزّون» امراة انطون بك ابي طربيه وولديها محمود و بشاره دفنا معها

يا رمس كم تتوجعنْ مستودعًا　　امًّا بجنبيها التوى ابناها

١٧٩[illegible] [illegible]

[illegible]

١٥٠[illegible] [illegible]

[illegible]

١٧٧١ [illegible]

[illegible]

تاريخ لكنيسة سيدة راس كيفا

يا مريم البكر التي بكِ آدمُ وبنوه قد نالوا العطايا الفاخرهْ
بصعودكِ السامي علوتِ مكانةً عنتِ الملايكُ عندها متصاغره
ولذكر ذياكَ الصعود تشيَّدت هذي الكنيسة بالمحاسن زاهره
في عهد عوَّاد التقى مطراننا ربّ المآثر والايادي الوافره
فتشفعي في مَن سعوا بقيامها شكرًا على حسناتك المتواتره
لا تُهملي بلدًا اقام مؤرخًا ملجًا لاهله ظلُّ بنت الناصره

سنة ١٩٠٤

تاريخ كنيسة بناها سليم بك ثابت على اسم القديس جرجس ذكرى المرحومة والدتهِ

على اسم الخضر انشأها سليم بثابت عزمهِ ذكرى لأُمّه
فيا مولاي بالتاريخ خلد محاسن ذكره بمآل اسمهْ

سنة ١٨٩٧

تاريخ للمرحومة ترازيا امراة يوسف الزغزغي

بكت الفضيلة غادة كانت مثالًا للفضيلهْ
يا عين يوسف زغزغي تغشاكِ وحشتها الطويلهْ
كفّي بكاء حليلةٍ ما مثلها بُكيتْ حليلهْ
فتريزيا ببلائها لمعت محاسنها النبيلهْ

ولصبرها قد خِلتُها   من نسل أيوبٍ سليله
أرّختُ هجمة عيشها   كانت بجملتها جميله

سنة ١٩٠٤

تاريخ للمرحوم ابي سمراء غانم الشهير
بالحماسة والشجاعة

أبا سمراء عشت العمر تجني   لحسن الذكر ما فاق الغنائم
بنفس صحَّ هيكلها فأضحى   قيام كليهما مجلى العزائم
وفيك من الشجاعة ما يُوازي   اذا قاسوا الورى ما في الضياغم
ولو نادّى المروءة طالبوها   لقالت انني عند ابن غانم
مررتُ برمسهِ اهدي اليهِ   تحيَّات الصواهل والصوارم
فقال الرمس لا تقرب قرابي   فعندي من اسود البأس قادم
مَهيبٌ مَن يراهُ فيَّ ارّخ   تصوَّر لبُّه « يقظان نائم »

سنة ١٨٩٥

تاريخ للمرحوم رزق الله نخلة خضراء
وضريحه على جانب البحر

أَيا نخلةً خضراءَ جفت فروعُها   سقاكِ الحيامع دمع عيني المسلسل
بكِ الله اولانا نصيبًا برزقهِ   ويا شؤم يومٍ جاءَ من رزقهِ خلي
لفقدك رزق الله نحنا تأسفًا   على همَّةٍ كانت الى النجم تعتلي

عَلى سَنَدٍ للمكرماتِ وآلها   على رجالٍ في دهرهِ خيرِ موئلِ
خليليَّ جنبَ البحر بحر بجزره   ويا طالما في مدّهِ جادَ مَن بُلي
على رمسهِ من فيض رضوان ربه   سلامٌ ومنا طِيبُ عرف توسلِ
هنا ردّد التاريخ نحبًا كمنشدٍ   «قفا نبكِ من ذكرى حبيبٍ ومنزلِ»

سنة ١٩٠٤

﴿ تاريخ للمرحوم الخوري جبرائيل البيطار مع ذكر اخوته ووالدهم وجدودهم ولهم حجرة في كنيسة مار سمعان خاصتهم ﴾

من آل بيطارٍ تساقط فارسٌ   لا بالوغى لكن باحكام الردى
وبنوه سمعان ويوسف بعدهُ   الياسُ يواكيمُ منصورُ العدى
واليوم جبرائيل سار ويا لهُ   عبدًا امينًا كاهنًا متجرّدَا
هذه سلالة فرع يعقوب الذي   بابيه سمعان الشهير تمجّدَا
ذاك الذي بكت المكارم فقده   وبذكرهِ التاريخ فاهَ مغرّدَا
شهب تواروا في الثرى لكنما   يحييهمِ ذكر يدوم مردّدَا
سمعانُ من نجليكَ ربّكَ مالئٌ   ذا البيتَ قل يا ليتَ مني مشهدَا
وكذا جزاء المتقين لربهم   وهنا نرى خبرًا لذاك المبتدا
يا نخبة الفضل الصحيح وعصبة الشرف الصريح بني المروَّة والندى
قد طالما قمنا حذاء مقامكم   وبكاؤنا صعقات موسى جدّدا

ونداؤنا لاقى سميعًا عنده (١) اذ رحمة المولى اجابت بالندى

حيّي الرضى تلك الوجوه تلطفًا ما غاب وجهٌ للبدور ومـا بدا

هذا سلامي أرخوه بآلكم فسلام جبرائيل اغنم موردا (٢)

سنة ١٩٠٢

تاريخ للمرحوم يوسف بشير من دوما وكان تولى

قايمقامية قضاء الكورة

بيك تحجب في الثرى لكنما أفعالهُ الغراء لم تتحجبِ

وَلِيَ القضاء بكورة جريًا على سنن العدالة فيه دون تشعُّبِ

أبقى فروعًا هم دليل صلاحهِ اكرم بكلٍ من بنينَ ومن أبِ

هيًّا لدى التاريخ نبيُّ قومهُ نادى البشير بيوسفٍ قُمْ واذهبِ

سنة ١٨٨٤

تاريخ للمرحوم شجعان عون من معلقة الدامور

توفي عن ولديهِ وهما حبيب وايوب

حبيبي كن اخا ايوبَ صبراً وداوُوا بالتصـبر من بكوني

انا شجعان والدكم فأرخ غَلبتُ وأيد ربي كان عوني

سنة ١٨٧٢

(١) اشار الى ان قول الشاعر « لا حيوة لمن تنادي » لم يصدق هنا لان نداءنا امام قبرهم لاقى سميعًا وهو ندى المراحم العلوية

(٢) يريد انهُ مرسل لهم سلامهُ مع احدهم هو الخوري جبرائيل لانَّ سلام جبرائيل اشرف سلام اشارة الى سلام الملاك جبرائيل

تاريخ للمرحوم حبيب بك كرم وكان وكيلًا لبناء
كنيسة مار جرجس في اهدن وولده هو خليل بك

سُقيتَ رمساً ثواهُ من بني كرمٍ   بيك عليه يحقُّ القول وا أسفي
بالله يا ناشراً فينا مآثرَهُ   زر بيعةً الخضر حامي اهدن وصفِ
أحيي خليلٌ بنا من بعدهِ مُهجاً   أكرم به خلفاً عن أكرم السلفِ
دعاه مولاه من ارض يؤرخه   لأنت عندي حبيبُ أبنٍ فلا تخفِ

سنة ١٨٧١

تاريخ للمرحوم الياس عبود ابي راشد من وادي
شحرور وكان شيخ صلح محله مدة طويلة

تبكي الوداعة في العيال نسيبها   والصلح يبكي شيخه واخاهُ
من بالسلامة قد قضى ايامه   اما المنافق لا سلام يراهُ
بمخافة المولى غذا اولاده   وكساهم الآداب وهي كساهُ
وكذا يشيدُ المرءُ مجلى فضلهِ   في من نأى عنهُ وذي قرباهُ
ابناءَ عبودٍ سلالة راشدٍ   عزَّاكم المولى على بلواهُ
ورعاهُ الَّيا الغيور شفيعهُ   ألمسؤولُ منذ البدء ان يرعاهُ
فله روى التاريخ قولًا صادقًا   ذا من بقايا الله في تقواهُ (١)

سنة ١٩٠٦

(١) اشارة الى قولهِ تعالى لالياً قد أبقيتُ لنفسي بقايا تتقيني الخ

تاريخ للمرحوم مخائيل بوموسى من كسبا
وكان من البنّائين المشهورين

بَني امّي وأولادي اصطباراً — على الدنيا تجرعنا الكؤوسا
دخلناها تقهقهُ في بكانا — ونتركها تعرّينا اللبوسا
فكم قصرٍ بَنى فيها بناني — وفي ذا اليوم تُسكنني الرُموسا
رُموساً في الثرى أهلت بأهلي — وبؤسي عندها لاقى بُؤوسا
فقولوا للمؤرخ لجْ تأمّلْ — بميخائيل ملتقياً بموسى

سنة ١٩٠٦

وقد الحقنا هذه التواريخ بما وجدنا في مجلة المشرق من قلم المونسنيور يوسف العَلَم نظماً ونثراً من ذلك ما ورد في المجلة المشار اليها لسنتها الرابعة الموافقة سنة الف وتسعمائة وواحدة صفحة ٤٣٠ وهو انه لما اطلع على اللغز المدرج في المجلة صفحة ٣٣٥ في المال لحضرة الاب الياس جباره اليسوعي ورأى كثيرين من الشعراء تزاحموا الى حله نظم حضرته الابيات الآتية :

أَعجِبْ بلغزٍ كم أغارَ لحلّهِ — من جيش أرباب الدواية والقلَمْ
ما همَّ ناظمهُ غموضةُ لفظهِ — لكن بمغزاه سبى اهل الحِكَمْ
بثلاثةٍ من احرفٍ تركيبهُ — ولكمْ معانٍ تحت مبناهُ تؤمْ
فاذا حذفت من الثلاثة واحداً — تلقى بُعيد الحذف منه ما ولمْ
« املُ » بهِ تحيى ولكن مثلما — يحيى المؤمّل في كراهُ اذا احتلمْ

« المُّ به تُضنى ولكن عندما ... عَنت القلوبُ لملكهِ وبها احتكمْ
تدعوه ربًّا وهو صنعُ يديكَ من ... حجرٍ تطرّقهُ فقل هـذا صنمْ
فلأكسرنْ ساقيـهِ ثمت رأسهُ ... ولأشرينَّ بـه الكرائم والعظمْ
اهلاكهُ نفعٌ وفي ابقائه ... تلقى هلاكك والغواية والندمْ
خُذْ منهُ ما تحتاج وانفق للورى ... ما زاد ليس المالُ مالك ياعدمْ
قد جئتَ هذا الكون عريانًا فقل ... من اين مالك فيهِ او ماذا ولم (١)
واذا رجعت الى ترابك يا ترى ... اتجرُّ معك المال او تحيي الرممْ
فالمال في الدارين انفع نافعٍ ... عند أمرئٍ في حسن مبداه انتظمْ
فاذا اردتَ به السيادة سُد وكن ... للناس مغواثًا فتلفيهم خدَمْ
واذا اردت الملك في دار البقا ... فلوجه ربك بذلهُ اوفى سَلَمْ
ياصاحب العقل السليم اليك من ... لغز ومغزاهُ فوائد تغتنمْ

وهذا حله للغز الكهرباء للدكتور حبيب درعوني
الوارد في صفحة ٤٧٩ من مجلة المشرق للسنة السابقة:

يُمناكَ ياهذا للغزكَ سطّرت (٢) ... وباختها مدلولهُ يتقلّبُ
قد كانَ بينَ يديكَ موتُ كريمةٍ ... وحياتُها وكما تشاءُ ترتّبُ

---

(١) اشارة الى قول الرسول « وماذا لك ولم تأخذه » اي كل ما هو للانسان هو من الله

(٢) يريد انهُ كان يقلّب سبحته الكهربائية بيـده الواحدة والثانية كانت تكتب لغزه فيها

فاذا أمتَ الجسمَ عاشت روحهُ ... وبذا مثالٌ للكمال مدرّبُ
ما نلتكَ في يُمناكَ يا موسى وما ... هذه الغرائب عن قواها نعربُ (١)
قَدْ خِلتها أُلعوبةً باصابعٍ ... مع انها اعجوبةٌ تُستغربُ
فنضدتَ من حبّاتِها لكَ سُبحةً ... والامرُ عندي ان تُسبحلَ اوجبُ
هذه لعمري الكهرباءُ وانّهــا ... لحقيقةٌ فيهـا الكلام مُصوَّبُ
اختانِ موجبةٌ وسالبةٌ فلا ... تأليف بينهما وهذا المأربُ
والحربُ بينهما تطيرُ شرارُها ... عند اللقا والرعدُ عنها يَصخبُ
وصواعقٌ تنقضُّ من موجاتها ... منها المصائب كالسحائب تَسكبُ
اين المدافعُ والمعامعُ والوَغى ... منها وقل بل كيف صلحٌ يطلــبُ
سبحانَ من جعل الغيوم خباءَها ... والبرقُ من الحاظهـا يتلهّبُ
روحٌ بسرعتها وخفّةِ سيرها ... ووَرا مَطاوي لطفهــا تتحجّبُ
هذه مزايا الكهرباء وعصرُهــا ... في كل يوم منه امرٌ اعجبُ

في المطهر

ذكرت مجلّة المشرق من نظم المنسنيور يوسف العَلَم الابيات الآتية في المطهر

قــد جزتُ يومًا بالمقابر زائرًا ... فيهـا لحجرة عيلتي المتعفّرهْ
وجثوتُ في ذلك المكان مصلّيًا ... من اجلهم ومدامعي متحدّرهْ
وجلستُ انظر في التراب مردّدًا ... حكمًا من الفردوس احرز مصدرهْ
انّا ترابٌ والتراب مصيرُنا ... فبايِّ وجهٍ نستحلُّ المفخرهْ

(١) يريد تشبيه الكهرباء بعصا موسى لغرائبها

وكذا القصور الى القبور مسيرُها ... وعظائمُ الدنيا هنـا مستحقرهْ
اين المعارفُ والمحاسنُ والغنى ... اين المناصب والجيوش مظفَّرهْ
ذي بقعة تطوي عوالم جمَّةً ... لو يرجعون تضيق عندهم الكُـرَه
فاذا عددتَ رمال تربتها ترى ... اعداد موتاها تفوق مكرَّرهْ
تلكم جسومٌ كالهباء حسبتهـا ... لكن سيبعثهـا النشور مغيَّرهْ
وقيامة الاجساد تظهر قدرها ... وزروعنا مَثَـلٌ لتلك المقدرهْ (١
قل تلك اسرارٌ لحكمة خالقٍ ... كي لا تتيهَ نفوسنا متكبّرهْ
اذ كنتُ في هذي الامور مفكّرًا ... والنفس من تذكارهـا متأثرهْ
واذا بصوتٍ من كهوف رموسهم ... يدوي بصدري والصدى قد كرّره
هيَّا ارحمونا يا احبتنا الالى ... منّا حظيتم بالكنوز مذّخره
هلَّا ذكرتم كيف كنَّا عندكم ... في حق من سبقوا لهذي المقبره
ما حان ان تنسوا وشائج لحمكم ... ودماؤنا بعروقكم متدّيره
هذي المنازل والرياش يزينها ... هذي الجنائن والرياض المثمره
هذي مكاسبنا ومن اتعابنا ... هذي لكم منّا كالف مذكّره
كيف انقلبتم عن عهود جدودكم ... والحر يعتبرُ العهود مطهَّره
لو كنتم في ذا العذاب مكاننا ... ارضيتم منا بايّة معذره
لا تنكروا هذا المكان وناره ... في عرف من عرف الصواب مقرّره
هذا كتاب الله يقضي بيننا ... وبه ترى هذه الفروض مسطره
هذي معاملة الذين تقدّموا ... في حق موتاهم لاجل المغفرهْ

١) أشار الى قول الرسول بتشبيههِ قيامة الاجساد بعد موتها بنبت الزروع بعد موتها في الارض الخ

من كامل الاعصار تُسمعُ رحمةُ ... ألموتى فيا عجبًا بهذه المأثرهْ
لا تبخسونا يا كرام حقوقنا ... ان الحقوق لدى الكرام موقّرهْ
ان ترحمونا تُرحموا من غيرنا ... ولكم لديه رحمةٌ متوفرهْ
اليوم تذكارُ لموتاكم فلا ... تنسوا فروضًا للجميع محرّره
جدّوا وجودوا في سبيل نجاتهم ... من سجن مطهرهم ونارٍ مسعره
هذه نصائح من يؤرخ آنها ... يا ربح من غنموا النفوس مطهره

سنة ١٩٠٣

تقريظ

نظمهُ بعرض يوبيل الخمسين عامًا للمطبعة الكاثوليكية التي بادارة حضرة الآباء اليسوعيين الافاضل وقدمهُ بوقتهِ فأدرجتهُ مجلة المشرق في عددها ٢٤ صفحة ١١٠٨ من عامها السادس بقولها : « قد تلطف السيد العلامة المنسنيور يوسف العلم وترجم عن افكار اهل بلادنا بقولهِ » :

أكرمْ بمطبعةٍ قضت من عهدها ... خمسين عامًا بالمعارف زاهره
واليوم ذا يوبيلها متقبلٌ ... منا التهاني من قلوبٍ شاكره
كيف السبيل الى قضاء حقوقها ... فرض الثنا وحقوقها متثابره
وعلومها وفنونها وصفوفها ... بصنوفها مثل البحار الزاخره
وبريدها يبدو بطلعة « مشرقٍ » ... « وبشيرُها » تهوى النفوس بشائره
هيَّا بنا ندعو طوابعها التي ... منها تلقّينا العوارفَ ماطرَه

فلتطبعنْ منا الثناء عداد ما … طبعت صحائفها الحروف الوافره
قل انما طبعاتها بقلوبنا … لا تُمحى والنفس منا ذاكره
ان الديانة والعلوم واهلها … تُهدي الثناء لفضلها متفاخره
خيرُ العوارفِ بالمعارف لاسوى … هذي تدوم مع الدهور معاصره
قد يُفقَـدُ المال الغزيرُ وانما … العلم الشريف لهُ الحبوة مضافره
ان المطابع للعلوم جداولٌ … تجري الى كل الورى متشاطره
لكنّما خيرُ المطابع مـا غدَتْ … للدين والآداب عينًا ساهره
للعلمِ بالوحيِ الكريم علاقةٌ … ترعى جوانبهـا العيونُ الطاهره
«ما كل من قال القصائد شاعرٌ» … والحكم في هذا لأُذنٍ شاعره
يا أيُّها الرحمان صن جمعيّةً … عقدت عرى الآمال بأبن الناصره
باسمٍ لهُ دُعيت تتيـهُ تعزّزًا … لاسمٍ لهُ تعنو الخلائقُ صاغره

تهنئة لمجلة المشرق بعامها السابع

ومجلّةٍ تجلو الظلام بنورها … بسمت لها الابصار منذ ظهورها
وشعارُها «الله نورٌ» شاهدٌ … بقوامها وقيامها بامورها
الله نورٌ والهدى من نورهِ … قد ضاء في الدنيا على ديجورها
ما ضرَّ هـذا الكون الا ظلمةٌ … سملت بهـا الايام عينَ بصيرها
فكأنّمـا ايات موسى جدّدتْ … ظلمات مصرٍ في جميع عصورها
فانهالتِ العميان تخبط عندها … كتخبُّط العشواء عند مسيرها
ما هامَ بالظلمات الا احمقٌ … يبغي بمطواهـا ركوبَ غرورها

بالنور اعمالُ الظلام تعيَّبتْ   وحقيقة الاشياء عند نشورهـا
فالخيرُ مكشوف الجبين لناظرٍ   والشرُّ في الاعمال طيٌّ ستورها
والبطلُ لا يُرضيهِ الا كتمهُ   والحقُّ مثل الشمس في منشورها
جاءَت مجلَّتنا لسابع عهدهـا   كمنائرٍ سبعٍ تشعُّ بنورها
بفضائلٍ سبعٍ لسبع مواهبٍ   زانت صحائفهـاُ وكل سطورها
عربيَّةٌ مـا زال طالعُ حسنها   يزدادُ مجدًا من كمال شعورها
راجتّ معارفها رواجَ جواهرٍ   فتزاحم الطلاب حولَ بُحورها
سوريَّةٌ ظهرت بغرّة « مشرقٍ »   فاستشرقوا في الغرب نحو ظهورها
ومُديرُها «شيخو» الصحافة شيخنا   غنَّت لهُ الآدابُ في تحبيرها
عَلَمٌ له في كل فنٍّ خبرةٌ   ومراجعُ الاشياء عنـد خبيرها
بحرٌ تدفق بالمعارف هادئًا   دعةً ومـا احلاه عند ثغورها
بالدين والعلم الحيوة لناطقٍ   ونفوسنا موتى بدون شعورهـا
ومدارُ هذين الحقيقة عند مَن   طلب الحقيقة عند صدر صدورها
يا سابع الاعوام سرتَ معزَّزًا   بمجلَّةٍ جلَّت بفضل مديرهـا
بلّغ تهانينا ببكرٍ سبَّعت   واليُمن من يمناه في تكبيرها

تقريظٌ ارسلهُ لادارة جريدة لسان الحال في اليوبيل الفضي الذي اقيم لهذه الجريدة في بيروت في نادي مديرها صاحب المعزة خليل افندي سركيس

قالوا «لسان الحال» قال اجبتهم — والحال مصداقٌ لهُ لا يكذبُ (١
قولوا لمرتابٍ بصدق خليله — «لخليله» شهدت عيونٌ ترقبُ
صغنا هنا يوبيله من فضةٍ — لفظًا ومعناه المراد مذهبُ
هذي تهانينا وذي افراحنا — وكفى لسان الحال منّا يعربُ

قصيدة في توبة النبي والملك داود ادرجها المشرق في عددهِ الرابع لعامهِ السابع صفحة ١٥٢ بقولهِ: «نتحف قرّاءنا بهذه القصيدة العامرة الابيات في اول الصوم الاربعيني الذي خصته الكنيسة بالتوبة النصوح وبالانابة الى الله عزَّ وجلّ علها تحرّك في قلوبهم عواطف الندامة على مثال الملك والنبي داود قدوة كل التائبين

يتصوَّر الناظم ان داود يخاطب النبيّ ناتان مشيرًا الى المثل الذي ضربه له بعد خطيئته

ناتانُ من حسن البيان سحرتني — فبلغتُ من نفسي مرادَ مُحاكمِ
اصدرتُ حكمًا في مثالك عادلاً — يصبو اليـه كلُّ ذوقٍ سالمِ
وظننتَـني ارمي بسهمي باغيًا — فاذا بسهمي في فؤادي الناهمِ
لله درُّك من حكيم ماهر — يحظى بلا حربٍ بحظِّ الغانمِ
وافيتَـني برقيق لفظٍ خلتهُ — خمرًا فاسكرني حديث منادمي
شخَّصتَ لي ظلم اللئيم بمجلسي — فنهضتُ اقتلهُ بضربة صارمِ

---

١ يريد ان اللسان اذا قال وكان الواقع اي الحال شاهدًا لهُ لا يكون في قولهِ ريب

وقضيتُ اني قد اصبت بقتله   فقتلتُ نفسي حين لست بعالمِ
يا ليت اوريَّا يُبلَّغ حُكمنا   حتى ينفِّذهُ ببالٍ ناعمِ
قدماؤه سُفكت بامرِ ظالمٍ   فليردِ قاتله وليس بظالمِ
قد كنتُ احسبني لدى حرب الهوى   جليات يخطرُ خطرةَ المتعاظمِ
فرُميت من عيني بسهمٍ دونه   حجري الذي منه فتكتُ بشاتمي
لم ترضَ قاتلتي بقتلي بل انت   تدعو الى قتل البريء مزاحمي
فقتلته لكن بصرعه كبتْ   فرسان جيشي من عثار مظالمي
اوّاه من هذي الفظائع والدما   وصراخها ضدّ الغريم الغارمِ
يا ليتني ما زلت ارعى في الفلا   غنماً تهشُّ لرؤيتي ومعالمي
لم اخشَ من اسدٍ ودبّ اقدما   وكفتهما كفّي كفافَ صوارمِ
فهناك قد خضت المعارك غالبًا   وهنا انا مغلوب ثغرٍ باسمِ
ناتانُ ما لي من سواك شفاعةٌ   يرضى بها غضب المليك الناقمِ
وكما جرحتَ بما شرحتَ جوارحي   فادهن جراحي من زيوت بلاسمِ

وان ناتان يجاوبهُ

داود تُب فالله يقبل توبةً   من خاطئٍ في سحق قلبه صارمِ
علّم بتوبتك النصوح جميع من   حضروا ومن يأتون طيّ عوالمِ
وتردّد الاجيالُ في استغفارها   اصواتَ مزمار ابن يسّى النادمِ

من كلام داود من المزمور الخمسين

ارحمنيَ اللهمَّ أرحمَ راحمٍ   وبفيض رأفتك امحونَّ مآثمي
عمِّم لي التطهيرَ من ذنبي ومن   ما يقتضيه العدل ضدّ جرائمي

اني لعارفُ مـا جنيتُ تعمُّدًا والفكر في اثمي يقيم مُلازمي
مثّلتُ آثامي لعيني مشهدًا فدعت لمشهدهـا عيون غمائمِ
فاليك وحدك قد اسأت لانه من ذا سواكَ بما جنيتُ مُحاكمي
وعليك وحدكَ قد جنيت ومن ترى الّاكَ يعفو وهو اعدل حاكمِ
قدام عينيك الشرور صنعتهـا وبصيرتي مغشيَّةٌ بطلاسمِ
حاشاكَ تخاف في الوعود وكل ما اوضحتهُ بقبول عاصٍ نادمِ
فاذا ترافع مؤمنٌ مع كافر في صدق قولك نلت فوز محاكمِ
عطفًا بوجهك عن خطاياي التي قد صيّرت وجهي كاسود قاتمِ
قلبًا نقيًّا بي اُخلقنْ واعطني روحًا قويمًا لا كروحي الغاشمِ
حبلت بي الاحشاء من أُمي على دنسٍ ترسّخ في قوام قوائمي
وكذا بسوء قد وُلدتُ مطبّقًا بطنًا لظهر من سدًى وملاحمِ
واليوم قد زادت بفعلي جبلتي اثمًا على اثمٍ على متراكمِ
فاردد بقدرتك العتيق مجدّدًا وأرأفْ بمجبولٍ بطين مآثمِ
لا تطرحَنْ عبدًا تعفّـر وجههُ من وجهكَ السامي الجمالِ الدائمِ
ذا روحك القدوس لا تنزعهُ من روحي والّا صرت مثل بهائمِ
للحقّ قد أَحببت حتى لا أرى بسواهُ ترضى عن مليكٍ ظالمِ
اوضحت لى اسرار حكمتك التي منها استفدت كرامتي وكرائمي
صيرّتني ملكًا نبيًّا قاضيًا ونصرتني في حرب كل مقاومِ
حسبي بنسلي عزة بين الورى من بكرك الفادي لعترة آدمِ
حتى اذا أُذني تلقّت في الثرى انَّ ابن داودٍ بدا بعـواصمي

أحييت عظامي من رميم رفاتها   ذكرى اسمه ونهضت اول قائم
زوفاك تغسلني بياضاً يزدري   ببياض ثلجٍ يزدهي بعمائم
وليملأنْ قلبي سرورك بهجةً   واجبر عظامي من كسور مظالمي
ان تعفُ عني يا عليم سرائري   صيّرتني علم الهدى للقادم
فأعلّم الأشرار ان يتّبعوا   بعدي الطريق بتوبتي ومنادمي
وتردّد الاجيال في استغفارها   اصوات مزمار ابن يسّى النّادم
ضاقت بي الدنيا على رحابها   اذ فاتني ربي لفحش مآثمي
كم من قلاقل نازعتني راحتي   من راحتي وارتاح فيها لائمي
لم تطفِ حربٌ بداخل منزلي   الا وشبّت فيّ حرب نواحي
ليلًا نهارًا لا ازال مردّدًا   نوحًا يقصر عنه نوح حمائم
قامت مقام الخبز عندي ادمعي   اذ قد نسيت مشاربي ومطاعمي
ومدامعي غسلت فراشًا شانه   عارٌ تلطخ منه تاج عظائمي
ماذا يفيد الملكُ مرءًا قد غدا   عبدًا ذليلًا في اذلّ جرائم
هاقد سفكت الدمع من سكبي الدما   وملت نفسي في مكان مقادمي
فتقبلنْ مني الذبيحة عن رضى   لا من عجولٍ او كبوش تقادم
لكنها قلبٌ وضيعٌ خاشعٌ   قد طالما أذْللتهُ بلاومي
ولقدوعدت وانت اصدق واعدٍ   بقبوله فأفعل لفيض مكارم
ولتشكرنْ نفسي وقلبي مع فمي   شكرًا يلاقي منك بحرَ مراحم
ومعي تسبحك الخلائق كلها   حمدا لصفحك عن جميع مآثمي

قصيدة في الصوم

أبان فيها كون الصوم هو اول الشرائع وكل الشرائع اوجبتـهُ وايدها ببراهين فلسفية كما ترى :

(طبعتها مجلة المشرق في عددها الخامس لسنتها السابعة صفحة ٢٠٤ ملحقة لها قصيدة توبة داود لان التوبة والصوم من المتلازمات المتآخيات)

أَلصومُ ما الصومُ قل ما حكمهُ فينا … ان كنتَ تدري بهذا الامر تفتينا

هل أنزل الله صومًا في شريعتهِ … وهاك موسى وما أوتيهِ في سينا

يا أيها السائل المدفوع عن ورعٍ … هداك مولاك مع اهل الهدى دينا

شريعة الصوم ما بين الورى سبقت … كلَّ الشرائع والتنزيلُ يُبينا

فانَّ آدمَ في الفردوس بُلِّغها … فمًا لفمٍ من الرحمان بارينا

لمَّا أباح لهُ أشجار جنَّتهِ … يجني جناها بطيب العيش مقرونا

لكنْ واحدةً حماهُ مأكلها … وان تعدَّى غدا للموت مرهونا

وذاك موسى الذي فيه تقدّمنا … فانَّهُ صام عشرينًا وعشرينا

وهاك ناموسه فيه محرمة … بعض المآكل للاتين تفطينا

والربُّ يسوع من وفَّى شريعتهُ … حقَّ الشرائع تصريحًا وتضمينا

قد قال صوموا وصلّوا كي يعلمنا … بالصوم جدوى لنا جدوى [illegible]

والقول بالصوم اجراهُ وأيَّدهُ … بصومهِ ملقيًا درسًا وتمرينا

وقال انصارهُ يأتيهم زمنٌ … من بعد فرقتهِ فيهِ يصومونا

هذي عهود رأيت الصوم مسندها … ثلاثة من شهود العدل تكفينا

من عهدِ آدم من موسى وسيدنا … الرب يسوعَ صوتُ الصوم يدعونا

بالصوم قد قال أقطابٌ فلاسفةٌ … وطالما بذلوا في البحث تمكينا

سل عن صيام ابا الروح جمهم … واتبع هداهم ودع قول المضلينا
ماذا ترى في جموع لاعداد لهم … قد لازموا الصوم هل كانوا مرائينا
وهالك في الطب ما يغنيك عن جدل … بأنّ في الصوم للأدواء تسكينا
والطبع يرشدنا والعين باصرةٌ … إن نذل الجسم سادت روحه فينا
قل لي بحقك ما تختار في بطرٍ … هل غير صوم اذا ما رمت تأمينا
الصوم صومك لا تجدي به احداً … لكنما صلوات منك تجدينا
وكل من تاب كان الصوم قائده … لان في الصوم للعاصين تلبينا
وهاك من نينوى عنوان توبتهم … والسفر عنوانه يكفيك مضمونا
صوم تناول من عبد الى مالكٍ … ومن رضيعٍ الى طاوي الثمانينا
كذا البهائم قد صامت مشاركة … في نيل صفحٍ عن الآثام اهلينا
ان الكنيسة لم تحدث وصيتها … بالصوم لكنها قد عيّنت حينا
وقد رأيت نصوصاً جل مسندها … وكلها من كلام الله يحيينا
فالصوم كفّارة عن فعل معصيةٍ … وليس يرفضه غير المصرّينا
صاموا وتابوا بمعنىً واحد عُرفا … اذا تقصّيت اقوال النبيينا
فاتبع وصية أمٍ ليس مقصدها … الا الخير وكن خير المطيعينا

حمامة المشرق

قصيدة ذات خمسين بيتاً رفعها ناظمها بعرض اليوبيل الخمسين عاماً لاثبات عقيدة الحبل بمريم العذراء بلا دنس الى معالي السدة الرسولية المقدسة وعلق عليها شرعاً [illegible] الافرنسية [illegible] الى [illegible]

يا نجمة الصبح بل يا طلعة الامل … عليك منّا سلام صيغ في الحلل

يا ما أُحيلى زمانًا طال منتظرًا ... من رائدِ الشوق يحدو رائد المُقلِ
جُزْنا دهورًا باشباحٍ تساورُنا ... في جنح ليلٍ على الابصار منسدلِ
خلنا مجوسًا نراعي محتوى فلكٍ ... من برجِ ثورٍ اسامي دارة الحملِ
حمت مراصدُنا في الشرق شاغلةً ... الآباء والانبيا ياسعدَ ذا الشغلِ
خمسين قرنًا طويناها تعلّلنا ... فيكِ ارتجاءٌ بسرٍ منك مكتملِ
مذ صات رعدٌ على حوّا وحيّتها ... شمنا بوارقَ وعدٍ فيك متّصلِ
تلك العداوة لم تدسّ بينها ... الا لرمزٍ وهذا الرمزُ فيك جلي
ماذا على الحيّة العجاء من عتبٍ ... لكن نرى من وراها ثعلبَ الحيلِ
فرأسهُ حُقّ ان يداس منسحقًا ... لكن برجلٍ وقاها الله من زللِ
حُيّيت ياجنة الفردوس من ملكٍ ... يرعاك بتّارهُ المسلولُ من شللِ
ما بين اشجارك الغنّا ارى عجبًا ... هذه حياةٌ وموتٌ تلك يا وجلي
يا حارسًا فاحتفظ ذات الحياة لنا ... فانّ اثمارها تحيي من الاجلِ
يا عين آدم كم تبكين من ورقِ ... م التين اكتساءً بثوب العار والخجلِ
للارض تسقين من دمع ومن عرق ... والارض تعطي نبات الشوك من زعلِ
امّاه حوّا فدتكِ النفسُ عاقلةً ... انّى لك الحيّةُ العجبا من الحولِ
سقيتنا من لبانٍ لا ترينَ به ... كاس المرائر تسقي موضع العسلِ
وادي الدموع على ارض الشقاء جرى ... من دمعنا اذ همى كالعارض الهطلِ
نُحنا وطوفان نوح من مدامعنا ... والحزن يعقبه الرحمان بالجذلِ
طارت حمامة نوحٍ من سفينتهِ ... ثمّ اتته ببشرى غاية الاملِ
خُذ الحمامة يا رب النشيد ومن ... فيها البشائر للاسباط والمللِ

من حضن حوّاء قد طارت وآدمها   طوفانهُ لم ينلها منهُ من بلل.
حيّ الخليلَ ومن ضافوهُ عن كرم   وسارة في الخبا موعودةَ الحبل.
زُرْ بيتَ لوطٍ وجند الله تحرسه   والنار من طاهر الاذيال لم تصل.
اعجب باسحاق ملقىً فوق محرقةٍ   ضحيةً قد اتته فديةُ الحمل.
وانظر بسلم يعقوبٍ ملائكةً   تعلو وتهبط وامدح حكمة الازلي
واسأل كليمًا رأى عاقةً شعلت   والعود في النار باقٍ غير مشتعل.
واسجد لتابوت عهدٍ فيه تذكرةً   رمزًا لثانٍ على المرموز مشتمل.
ببرج داود عُج تأمن بساحته   وقع الردى والعدى منه على وجل.
وارصد سحابة الياّ تبشرنا   بالغيث والخصب بعد الجدب والمحل.
يا ارز لبنان كم لاقتك عاصفةٌ   ردّيت غاراتها الشعواء بالفشل.
نموت في جبل العلياء مرتفعًا   في ظل سلطانةٍ للارز والجبل.
بنى سليمان للرحمان هيكله   وكان شغلك فيه اقدس الشغل.
قد قدس الله للاجيال مسكنه   ولم يكن فيه من عيبٍ ولا زغل.
ومسكن الله في بكرٍ مباركةٍ   اولى بتقديسه من مسكن الاول.
عذراء قد حبلت عذراء قد ولدت   فكيف ما عصمت من وصمة الزلل.
فالورد من شوكه ما ناله ضررٌ   ونرجس الحقل سامٍ وهو من بصل.
وكيف قد دعيت منه مباركة   بين النساء وليس القول كالعمل.
جميلةً دُعيت منه بكاملها   لكن جمالاً صحيحًا كامل العلل.
وكيف قد دُعيت مملوءةً نعمًا   ان فاتها العفو في ذا الحادث الجلل.
باري البرايا اتتنا في تجسده   كل العطايا ولم نطلب ولم نسل.

فكيف يحرم اماً خير موهبةٍ   وكيف يسكن بيتاً غير مكتملِ
ام كيف يترك روحاً تلتقي دنساً   وجسمها قد حماه المسّ من رجُلِ
هذي تقاليدنا من عهد صبغتنا   ونطقُ ابائنا في ذا الخصوص جلي
هذي العقيدةُ قد صارت مقررةً   من غير ريبٍ ولا ردٍّ ولا جدلِ
خمسون عاماً عليها اليوم قد عبرت   واليوم يحيِيها في كل مُحتفلِ
اليك يا رومةُ العظمى مطوقةً   أرسلتُها من حمام الشرق عن أجلِ
تحمَّلت في جناحيها عواطفنا   من عهد آدم من موسى من الرسلِ
خمسين بيتاً اقلَّت طيّ معطفها   تُهدى الى لجنة الخمسين بالبدلِ
وذكرُ «بيوس» في فيها تردّدهُ   ترديدنا الدهرَ «ياسلطانة الجبلِ»

هذه القصيدة نشرتها مجلة المشرق في اول عدد من اعداد عامها السابع مذيلةً من حضرة الأب الفاضل مدبجها بهذه العبارة : انا نشكر السادة العلامة الشهير يوسف العلم على تزيينه صحائف مجلتنا بهذه القصيدة الغراء ونتمنى ان هذه الحمامة ترف الى ربَّان السفينة البطرسية غصناً نضيراً يكون رمزاً عن السلام والاتحاد بين الكنائس الشرقية والغربية اذ انها كانها صوتٌ واحد في تبجيل العذراء الطاهرة واكرامها على اختلاف المذاهب والطقوس

قصيدة في قيامة ربنا وسيدنا يسوع المسيح

(نشرت في مجلة المشرق عددها العاشر لسنتها الثامنة)

قام المسيح فيا بُشرى قيامتهِ   سيري بذا اليوم ابهى من غزالتهِ
بتنا ليالي واياماً تؤملنا   من صبحك اليوم بُشراً من اسرّتهِ
ظنّ البغاة الأُلى فازوا بمطمعهم   بانّ ذا الفوز ممتدٌّ لغايتهِ
قالوا استرحنا وغنا ماءَ اعيننا   وقد اخذنا احتياطاً من ضلالتهِ

فقام ذا اليوم يخزي من به عبثوا … ولافرار لهم من وجه سطوتهِ

وراح ذاك الصفا يعدو بلا وجلٍ … عدوا حثيثًا سريعًا نحو اخوتهِ

[illegible] … كانهُ الفارس المجلى بساحتهِ

كذا النساء سرينَ اليوم من فرحٍ … يسخرنَ بالبرق اذ يسري بخفّتهِ

اين المشائخ اين الشعب قاطبةً … أين الألى قد تغاووا في مذلّتهِ

هيّا الى القبر سالوا عنهُ مخفركم … قومًا من الجند رمتم في حراستهِ

هيّا الى القبر سالوا فوقه حجرا … منكم ترسّخ خوفا من خيانتهِ

هي الحقيقة لا تنفك ظافرةً … وجحفل البطل مأسور بغرّتهِ

قد تم ما قيل واعتدوه عن سفهٍ … يا ناقضًا هيكلًا خذ في بنايتهِ

قد كان يونان بطن الحوت مضجعًا … [illegible] ثالث يوم في سلامتهِ

[illegible] … قد قام من ليس يعطي غير آيتهِ

فوق الصليب طلبتم منهُ معجزةً … نجاته كالالى انجى بقوتهِ

ذاكم اليوم ما رمتم بطالبكم … وخبروا من اردتم عن اجابتهِ

قام المسيح [illegible] … كل الشواهد تاكيدًا لبعثتهِ

ان الملائك نادت حول مضجعه … قد قام ليس هنا فارنوا لحجرتهِ

كذا الجوامد في ذا الامر قد شهدت … والصخر زمجر صوتًا من ضخامتهِ

سلوا جواسيسكم سالوا عشائركم … وسايلوا الكل عن مجلى قيامتهِ

وسايلوا العازر المنشور من جدثٍ … وقد رايتم بهِ مصداق قدرتهِ

[illegible] القيامة قد جلّت دلائله … حتى غدا الصبح ادنى من دلالتهِ

هذي قيامة فتينا لنا وضحت … [illegible] بعثتهِ

فيها الرجاء الذي يحيي عواطفنا … وعونها حيثا همنا بدعوته
وكيف نسعد في الدنيا وسيدنا … على الصليب ياديا للدعوة
هيا اتبعوني على هذا الطريق ولا … تبغوا صراطاً سواه في استقامته
مجد القيامة ينسينا تألمه … وعبرة الامر تبدو في نهايته
بالامس قد كان محفوفا باعذبة … فيها الهوان اعلى اعلى منصته
واليوم قد قام معتزا ومنتصرا … ومجده ملأ الدنيا ببهجته
قد مات طوعا وقام اليوم مزدريا … بالموت والموت هياب لسطوته
بموته قد ارانا انه بشر … واليوم لاهوته باد بنهضته
ومن تجسد من عذرا بلا رجل … لا بدع ان قام من تلقا ارادته
وصار انصاره من بعد موتته … يناصبون المنايا في محبته
وعاد اعداؤه من بعد بغتته … طير على روسهم من سر خطته
سبحان من لحده مهد لبيعته … سبحان من قبره نشر لامته
هذي تدابير من تندك صاغرة … كل الشوامخ اقرارا بحكمته

رثاء

للسعيد الذكر المثلث الرحمات المطران طوبيا عون

نظمه الناظم وهو بوقته في دير الكريم للمرسلين اللبناني متولي ادارته

وطبع مع ما طبع من مراثيه سنة ١٨٧١

حذار دنياك لا تغررك فيها … فان حاضرها يجري كماضيها
ما انت اول من ضمت مساكنها … فان قبلك من شادوا مبانيها
ان الحيوة نهار راق مطلعها … لكن فلا بد ان تدجوا لياليها

كل الانام الى الاجداث جاريةٌ   جريَ المياه الى اقصى مراسيها
ما الدهر الا جنازات مشيَّعة   منذ الاوائل قد ضجَّت بواكيها
لوعادللارض من تحت الثرى سكنوا   لضاقت الارض عنهم مع تماديها
كنا نعاف المنايا قبل فرقتهم   فالان فقدهم شهى تدانيها
لأَنت اصغرفي دنياك من حجرٍ   انت ابن يومٍ وهذا من مباديها
وما تراقي بني الدنيا بسؤددها   الا تراقي نفوس في تراقيها
اما ترى العز في دنياك مذ نزلت   تحت الثرى سادة من عن كراسيها
فكيف ترجو من الدنيا سعادتها   واين تطاب عونًا من مواليها
سطت عليه المنايا بعد سطوته   على المنايا عن الارواح يثنيها
لو كان جور المنايا من جرا بشر   لكان قد صد طوبيا تعديها
عادى المظالم للمظلوم منتصرًا   فكان عند المنايا من اعاديها
يتيمة جاء لص الموت يخطفها   واللص يبغي من الاشياء غاليها
قد ادهشتنا المنايا بعده حزنًا   كانه بكر من غالت اياديها
عمَّ البكاء وسحَّت كلُّ ناظرةٍ   سح السحائب والزفرات تفريها
خلت المدامع طوفانًا غرقت بها   ونعشه فلك نوح سار يعلوها
والشمس مذ نظرت تابوته وقفت   كان يشوع ناهٍ عن تخطيها
آهٍ على مالىء الاقطار من اسفٍ   وانَّ ذكرًا لهُ مالي اقاصيها
سل المشارق عن اشراق مطلعهِ   وأتِ المغارب قاصيها ودانيها
منه ترى كيف جمع الناس في رجلٍ   وجمع دنياك في احدى نواحيها
فكل قطرٍ حكى بيروت في حزنٍ   وكل فاهٍ كفاها في مراثيها

كيف السلوُّ لاحشاها وقد نظرت عين السعادة غاضت في مآقيها
بكت عليه المعالي اذ سمت شرفًا به وضاءَ سما العليا دراريها
ليستْ على المرء في الدنيا بمنصبهِ لكن باعمال فضلٍ قد علا فيها
فكم تسنم عرش المجد من رجلٍ وكان عند الدنى ادنى ادانيها
بكت عليهِ خرافٌ ظل ينجعها اهنى المناجع سهرانًا يراعيهـا
وذئبة هجمت تبغي حظيرته فكان داود لا يخشى ضواريها
في رأسه تاج هارون وفي يده عصاك موسى بعون الله اوتيها
فكم رماها فافنت كل لاسعةٍ وكم صخور بها فاضت مجاريها
وكم بحور بها شطرين اوقفها وكم اباد جيوشًا في مثانيهـا
تبكي الكنائس من كانت منارته سما الكنائس شمسًا في اعاليها
تبكي المنابر من كانت مواعظه تُبكي الجماد وصمّ الصخر تذريها
تبكي الكتابة من اقلامه فضلت بيض السيوف ولم تفلل مواضيها
تبكي المساكين طوبيا لرافته اذ كان بالجود والاحسان يغنيها
مات الكريم فناحت كل مكرمة تبكي عليه بكاءَ القوس باريها
قد ضمه الرمس في قلب له فرحًا ان الكنوز قلوب الارض تخفيها
لئن توارى عن الابصار منظره له فمائل ما دهر يواريهـا
وعيشة المرء في الدنيا الى زمنٍ لكن تذكاره حتى تناهيهـا

رثاء المرحوم قعدان بك فضل الخازن المتوفى سنة ١٨٧٠

وكان اول قائمقام من عيلتهِ لدى تشكيل الاقضية في متصرفية لبنان على عهد داود باشا

ودّع زمانك قبـل يوم ترحُّلِ وأتبَع موجّل بيعه بمعجَّـلِ

أملت نفسك بالسعود فخانها   نجم النحوس فلم تفز بمؤمل
كثر الغرور فما الامان لخائف   من وقعهِ الا مجال توصل
كسفت بدور المجد قبل كمالها   وعلا هلال السعد غارب مأفل
وعفت ديار الانس حين سرورها   فغدت رسوم تفجع وتويل
من فوقها ضرب المنون خيامهُ   واحاطها داعي الدمار بجحفل
والحزن قد طعن النفوس فردها   قتلى لدى نعش ابن فضل الافضل
يا ناعيًا عنا اليك فكلنا   فقدانُ من ذا معه لم يترحل
فانعَ المناصب والمراتب والولا   وانعَ العلى وذُرى المعالي للعلي
وانعَ السخا والجود للمولى الذي   احياهما في الدهر دون توسل
وانع المكارم والمفاخرَ والوفا   وانع الذمامَ بكل وعدٍ مكمل
وانع الوغى والخيل مع فرسانها   والسيف مع سمر القناة الذبل
هذي النعايا رددت في ندبهِ   ندب اليتيمِ لسيدٍ متفضل
ياطالما فخرت بهِ واذكرهِ   خرت لشهمٍ في الكرام مبجل
وثب المنون عليه وثبة باسلٍ   حذِراً لنفسهِ من توثب أبسل
لم أدر ما فتكُ الحمام بضيغمٍ   من حوله أسدُ العرين بوجل
الف التكرم والعطاء لسائل   حتى المنون بنفسه لم يبخل
ان المنية لو تبدى شخصها   في يومه لطعنتها في الأول
غالتهُ اذ هو واحد لكنها   فتكت بالف بل بجمع اجزل
خرجوا به والاسد تندب والظبا   والطير تضرب في جناح المحمل
وتيمموا تشييعهُ فرأيتهم   كلاً مشيع قلبه المترحل

٠٨٧١ [illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

٠٨٧١ [illegible]

[illegible]

قصيدة في صعود سيدنا يسوع المسيح الى السماء

هيّا بنا نحو السماء تصعّدا	فهناك ننظر طبعنا متمجدا
يا نسل آدم يا بني الايمان من	قد خصّكم قول المسيح مردّدا
ثق لا تخف يا ذا القطيع فانكم	تعطون ميراث السماء موّبدا
وصعوده ذا اليوم أيد قوله	فتوثقوا وخذوا بقولٍ أيدا
يا من بعود صليبه سبيًا سبى	واذلّ قوات الجحيم وبدّدا
لم تتخذ طبع الملايك انّما	من زرعِ ابراهيم رمت تجسدا
وفديتنا بالموت عنا راضيًا	سبحانك اللهم في هذا الفدا
وبطبعنا البشري سرت الى العلا	فافدتنا خبرًا لذاك المبتدا
معنى نزولك من سمائك رحمة	لكن صعودك وصفه فاق المدى
اعتقتنا من اسر ابليسِ وما	قد كان أشقانا لديهِ تقيّدا
ولبست ثوب العار عنّا ناسجًا	لعرائنا ثوب الجمال مجدّدا

وملأتنا نعماً فصحّ القول فينا كلّ شيءٍ بالمسيح تجدّدا

واليوم انت صعدت عنا للعلا	وفتحت بابًا كان عنّا موصدا
وفتّت ما بين الاعالي والدنى	فتصالح الطرفان من بعد العدا
ونقضت ذياك السياج امامنا	وبك السبيلُ الى النعيم تمهدا
واخذت جمعًا فاضلًا من جنسنا	فبدا يمثل لانتصارك مشهدا
يا فاتح الملكوت يا غازي الدنى	يا مَن بأمرك كل أمرٍ قيّدا
تعنو الممالكُ والملائكُ جملةً	تعنو السما والارض لاسمك سجدا
صفّت للقياك السماء جنودها	وركبت اجنحة الملائك مقعدا

تلك السحابة من حواليك ارتدت   نورًا ومنك النور مطامهُ بدا
يا مَن تحجب بالضيا عن ناظري   ارحم فؤادًا من لظاك توقّدا
دَعني أجوب الافق خلفك ناظرًا   تلك المواكب كم تحيط تعدُّدا
ها انَّ اصوات الملاقين الأُلى   وافوا تردّد في الفضاء تردُّدا
هيَّا افتحوا ذا اليوم أَبواب السما   وتقبَّلوا ملكًا أَتى متمجدا
من عن يمين الله مجلسه استوى   وعلى المراتب قد تعالى سؤددا
هذا هو الابن الحبيب ومن لهُ   خضع الجميع تدوس اخمصهُ العدى
فتأَملوا في طبعكم يا بني الثرى   كم قد علا عزًّا وكم قد مُجِّدَا
وتأملوا مجد السماء بعيدَما   اوجاعُ هذا الدهر تبلغ للمدى
هل يستوي أَلمٌ ملمٌّ زائلٌ   مع ذلك المجد الرفيع مخلدا
لم تبلغ الأَبصار حدَّ جمالهِ   كلا ولا اذنٌ وعتْ عنهُ صدى
هـذا نعيم الله في ابراره   ما حدَّه بشرٌ وان يتحدّدا
انتم بنو ميراثهم لا ترهبوا   متوعدًا عنه ولا متهددا
شدوا عرى ايمانكم وتوثقوا   بحباله فتقطّعوا شرك الردى
وامضوا الى الفردوس ننظر مجده   ذا اليوم اذ فيه بلغنا الموعدا
ها ارض ميعاد لنا روّادُها   جلبوا عناقيدَ الدّوالي شُهَّدا
فتشددوا لا ترتخوا عن نيلها   ما نالها من لم يكن متشدّدا
عيد الصعود اليوم انعش قلبنا   وافادنا ذاك الرجاء موطدا
فَبهِ ختام جهادنا في تي الدُّنى   وبهِ الدخول الى السعادة سرمدا

تقريظ البرنامج المؤلف من الكاتب النحرير المدقق
يوسف افندي خطار غانم ارسلهُ في ٢٥ ايلول سنة ١٩٠٤

قم غاديًا بركات سادتنا الأُلى   قد باركوك وباركوا خطَّارا
هذي رسومُهم الصحيحة مثَّلتْ   بك مشهدًا يستوقف الابصارا
هذي تراجمهم تخلّد للمدى   منهم ومنك الفضل والتذكارا
نادتك من تلك الدمى لفتاتها   حيَّاك من احييتهم ادهارا
ابقيتَ ذا اثرًا لهم لكنهُ   والحقُّ اكبرُ شاملٌ آثارا
فتقبَّلنْ منهم ومنَّا جملةً   خيرَ الثناء مكرَّرًا تكرارا

عرفان الجميل

ارسل هذه الابيات الى دير الآباء اليسوعيين في تعنايل المعروف بدير سيدة التعزية بعد ان عمل لنفسهِ رياضة فيهِ وقد كان رئيسه وقتئذٍ الاب يوسف ماترن وذلك في ٢٢ ايلول سنة ١٩٠٤

يا ناديًا لو زار آدم اهلهُ   لرأى بروضتهم جنانًا ثانيا
ورأى ملاكًا بل ملائك حولهُ   لم تنضِ ايديهم حسامًا حاميا
لكن بوجهٍ باسمٍ متهلّلٍ   يلقون قاصدهم لقاءً راضيا
وعلى رتاجِ الباب اية يوسف (١)   وكفى بيوسف كل مصر كافيا

(١) اية يوسف « اذهبوا الى يوسف » كما وردت في الكتاب وفي هذا البيت وما بعده اشار الناظم الى رئيس الدير والى القديس يوسف خطيب السيدة العذراء المبنى الدير على اسمها وقوله فلديهِ من قوت الحيوة وعودها يريد السيد المسيح فانهُ القوت الذي نزل من السماء وهو عود الحيوة اي شجرة الحيوة الذي وجد في الجنة الجديدة المراد بها السيدة العذراء ويوسف كان الحفيظ لهذه الجنة . آه

فلديه من عود الحيوة وقوتها ما جاءَ يحيي منه ميتًا باليا
والفضل كل الفضل للبكر التي رفعت ليوسف ذا المقام الساميا
فعلى محيَّاها الجميل سلام من يعلو الوجود لعزّة اسمهِ جاثيا

ارسل كتابًا من تأليفهِ الى صديق لهُ يدعى يوسف
وكتب عليه هذه الابيات سنة ١٩٠٤

يامن أُسرت لفرط حسنك في الورى من ذا بدعوى الاسر عنك يُحامي
اسرت محاسنك النفوس باسرها وأتيت تشكو اسر ذات غرامِ
كم من نفوسٍ في الهوى دمرتها طلبت غرامتها ولاةُ الشامِ
بابي وامي نسمةً تحيي الورى من مدها بستان ذاك الرامي (١)
يا من رمى قلبي بسهم لحاظه خذهُ فهذا صيد سهم الرامي
ولذا كتابي في يديك وضعتهُ حتى يكون مصدّقًا لكلامي

وكذلك اهدى كتابًا من تأليفه الى صديق آخر لهُ وهو من الاطباء
والكتاب هو تفسير رسائل بولس الرسول

خذ يا سليم مع النسيم تحيَّةً تختار من حزب الرسول خليلا
حمل النسيم ثناءَ طبك في الورى فأحبَّ ان يأتي اليك عليلا (٢)

(١) اشار الى البستان الذي دفن فيهِ يوسف الرامي جسد السيد المسيح
(٢) المراد بهذا البيت ان الناس تحدثت لاهجة بطبهِ فتكيَّف النسيم من انفاسهم هذه فكانهُ صار الحامل لهذا الثناء وغار من كلامهم فاحب ان يكون عليلًا ليأتي اليهِ مستشفيًا ولهُ معنى آخر لا يخفى على اهل الذوق لانهُ متعارف

واذا وجدتَ من المعارف نكرةً   فأنظر تجدْ علمًا بكم موصولا (١)
ولذا كتابي في يديك وضعتهُ   عني يحدّثك الكلام فصولا

ابيات قدمها الى لجنة يوبيل الاربعمائة سنة لاكتشاف كريستوف كولمب لاميركا

لا بدعَ ان عمَّ البسيطة كلها   تذكارُ من قد عمها افضالهُ
في ارض شيكاغو يمثل معرضٌ   دلَّالهُ كولمبُ او تمثالهُ
فعناية الرحمان قد كشفت بهِ   كشفانَ نوح والحمام مثالهُ (٢)
ها ان قرنًا رابعًا لوفاتهِ   وكأنه ذا اليوم كان زوالهُ

وهذه الابيات عُلقت على رسم غبطة السيد البطريرك الياس الحويك المزيّن بهِ الكوكب السيار

حيَّيتُ رسمك يا غيورُ لربهِ   والكوكبُ السيَّار صدري يشرحُ
حيَّاك من اعلى المواصم آلها   بتجلّةٍ عظمى لشخصك تصلحُ
لا تعجبوا اذ في الكتاب مسطرٌ   من كان مثلك يا اليَّا يُمدحُ (٣)

وقال هذه الابيات بعرض نوال صديقه أفاضل الكريم منصور ملحمه ترجمان سفارة المانيا سيفًا من تعطفات جلالة امبراطور المانيا

ذا ترجمانٌ وذا سيفٌ تقلّدهُ   جزاء صدقه والاقدام في الخدَمِ

---

(١) يريد انه اذا كان معارف سليم واصحابهِ ينسون صداقته فالناظم لا ينسى لا بل تتضاعف معرفته له لان العلم معرفة والموصول معرفة ولاهل الذوق بهذه الكناية ما لا يشرح بالقلم

(٢) اشار الى ان اكتشاف اميركا بواسطة كولمب يشابه اكتشاف الارض الجديدة بالحمام الذي ارسله نوح بعد الطوفان ولفظة كولمب تعريبها حمام فتأمل .

(٣) اشار الى قول يسوع بن سيراخ ص ٤٧ «من كان مثلك يا اليا فليمدح»

وافى ومعه نياشين تخاطبه   ما الفضل للسيف ان الفضل للقلم (٤)

غيرها

لا تعجبوا ان حباني سيفه ملكٌ   يهلّ من راحتيه الجود والكرم
فانني ترجمان عن اشارته   قد يفعل السيف ما لا يفعل القلم

غيرها

سيف تقلّده الهمام وانما   ما بين همّته وسيف مشكل
السيف أمضى ام تفوقه همّة   فاحكم بمشكلنا عهدتك تعدل
لو لم يكن للسيف سطوة ربه   قلنا لحامله المكان الاول

غيرها

ان النياشين التي أحرزتها   تشدو بفضلك ان طواه نكير
لا بدع في اعطا المليك حسامه   من كان مثلك عنده منصور
وكذا يسود المرء في العليا وما   هذا على كل الرجال يسير
فالله مولاك العظيم فدم له   اذ ما لمنصور سواه نصير

غيرها لان الممدوح كان قد نال جملة نياشين من الدول

منصور ملحمة تعلّى في العلى   وبفضله يعلو الفتى ويسود
ان ندّ عنكم ان تروا افعاله   فله نياشين الملوك شهود

وكتب على صورة ابراهيم الخليل والملائكة الثلاثة على مائدته وقدم هذه الصورة لابرهيم بك ثابت وهو رئيس الجمعية الخيرية وكان في ضيافته ثلاثة من المطارين

يا من أتوا ذاك الخليل بعصره   وجزوا نداه بابنه اسحاق
جودوا لابرهيم ثابت مثله   فله جزاء المثل باستحقاق

---

(٤) يريد ان الترجمان له القلم وهو الذي استحصل له هذا السيف وله معنى آخر لا يخفى وفي البيتين الاتيين عاكس ما قاله هنا كما ترى وذلك تفنن في المديح

مقالة في اعمار الآباء الاولين

ما زال البعض يسألون عن أعمار الآباء الأولين كآدم واولاده ان كانت مدّتها كما ذكرها موسى الكليم عليهِ السلام في سفر التكوين والبعض الآخر لايخجلون من تخطئتهِ او تأويل كلامهِ الى خلاف معناه بزعمهم انَّ السنة التي ذكرها لم تكن الّا مدّة وجيزة عبارة عن ثلاثين يومًا تقريبًا محتجين بانهم لا يرون الآن من يعيش تلك السنين الطوال التي عاشها اولئك الآباء وان ذلك مخالف للمبادئ الطبيّة . فطلب اليّ بعض الاصحاب جوابًا شافيًا على ذلك بحيث لا يبقى بعدهُ مجال للسؤال والاعتراض فمن ثمَّ رأيت اجابةً للطلب ان أبسط البينات الدامغة على صحة كلام موسى وسلامة تعبيره من تأويلهِ الى خلاف معناهُ

فاقول (اولًا) انَّ موسى الـذي ذكر ان آدم مثلًا عاش تسعمائة وثلاثين سنة وشيتًا عاش تسعمائة واثنتي عشر سنة وآنوش عاش تسعمائة وخمس سنين الى غيرهم من اولئك الآباء قد اراد بالسنة اثني عشر شهرًا وبالشهر ثلاثين يومًا نظير حسابنا الآن . لانهُ بعد ان ذكر اعمار اولئك الآباء في الفصل الخامس من سفر التكوين اتى في الفصل السابع وما بعدهُ من السفر المذكور على ذكر الطوفان وهناك ابان عن عدد ايام السنة والشهر فقال (تك ٧: ١١ـ١٢ و٨: ٤ـ١٣):

«في سنة ستمائة من حياة نوح في الشهر الثاني في اليوم السابع عشر منهُ انفجرت ينابيع الغمر

العظيم وانفتحت كوى السماء وكان المطر أربعين يومًا واربعين ليلةً في ذلك اليوم دخل نوح وعائلتهُ الى الفلك . . . وبعد مائة وخمسين يومًا نقصت المياه واستقرَّ الفلك في الشهر السابع في اليوم السابع عشر منهُ على جبال أراراط وكانت المياه تنقص نقصًا متواليًا الى الشهر العاشر . وفي أوَّل يوم منهُ ظهرت رؤوس الجبال وحدث من بعد اربعين يومًا أنَّ نوحًا فتح طاقة الفلك وأرسل الغراب فلم يَعُد ثم أرسل الحمامة لاول مرة ثم لبث سبعة ايام أُخر وأرسلها الثاني مرةً ثم لبث سبعة أيام أُخر وأرسلها لثالث مرَّة . . . وكان في السنة الواحدة والستمائة (من حياة نوح) في الشهر الاول في أوَّل الشهر أنَّ المياه نشفت عن وجه الارض وفي الشهر الثاني في اليوم السابع والعشرين من الشهر خرج نوح وعائلتهُ من الفلك . . .»

فهذا كلام موسى لا يترك مجالًا للتأويلات ولا التباس فيهِ ولا ابهام لانَّ موسى قد أبان عن السنة وشهورها وعن الشهر وايَّامهِ وذكر النهار وذكر الليل حيث قال اوَّلًا انَّ الطوفان وقع في سنة ستمائة من حياة نوح في الشهر الثاني في اليوم السابع عشر . ثمَّ قال انَّهُ «بعد مائة وخمسين يومًا نقصت المياه وانَّ الفلك استقرَّ في الشهر السابع في اليوم السابع عشر منهُ» لنزول الطوفان فالمائة والخمسون يومًا عبارة عن خمسة اشهر فأضفها الى الشهر الثاني المذكور يكن الشهر السابع الذي استقرَّ فيهِ الفلك على جبال أَراراط . ثمَّ ذكر الشهر العاشر بقوله: «وكانت المياه تتناقص نقصًا متواليًا الى الشهر العاشر» وذكر اربعين يومًا لتناقص المياه . ثمَّ ذكر انَّ نوحًا أَرسل الحمامة ثلاث مرَّات بين كلّ مرة منها والاخرى سبعة أيَّام جملتها واحد وعشرون يومًا فاضفها الى الاربعين يومًا يحصل منها شهران تتمَّة الاثني عشر شهرًا وهي سنة كاملة وقد رأَيت ان موسى ذكر انَّ الطوفان كان ابتداؤهُ سنة ستمائة من حياة نوح في الشهر الثاني في اليوم السابع عشر منهُ . ثم ذكر «انهُ في السنة الواحدة والستمائة (من حياة نوح) في الشهر الاول نشفت المياه وفي الشهر الثاني في اليوم

السابع والعشرين جفّت الارض وخرج نوح وعائلته من السفينة»

فمن بعدُ كل هذه التوضيحات هل يحتاج السائل الى زيادة بيان ليعلم ان السنة والشهر واليوم المذكورات في الكتاب المقدّس عن اعمار اولئك الآباء الاولين هي كالتي عندنا الآن

اقول (ثانيا) انَّ موسى ذكر في الفصل الخامس من سفر التكوين من جملة اولئك الاباء الاولين ان مهلائيل عاش خمساً وستين سنة وولد يارد وان اخنوخ عاش خمساً وستين سنة وولد متوشلح . فلو كانت السنة الواحدة من تلك السنين عبارة عن شهر تقريباً كما يريد ان يتأوَّلها بعضهم لكان كلٌّ من مهلائيل واخنوخ ابن خمس سنين وخمسة اشهر لمَّا ولدا ولديهما يارد ومتوشلح . ثمَّ ان موسى نفسهُ ذكر في الفصل الخامس والعشرين من السفر المذكور انَّ ابرهيم مات شيخاً ممتلئا من الايام وانَّ ايامهُ كانت مائة وخمساً وسبعين سنة فاذا اعتبرنا هذه السنين شهوراً كما يزعم البعض كانت ايام ابرهيم اربع عشرة سنة وسبعة اشهر فهل نعد هذه المدة شيخوخةً وامتلاءً من الايام . . . ؟

اقول (ثالثا) اماَ ما يوردهُ المعترضون من الحجَة بانهم لا يرون الآن من يعيشون تسعمائة سنة نظير اولئك الآباء وان تلك الاعمار الطويلة الموردة في الكتاب مخالفة للمبادئ الطبيَّة فهو مردود بانَّ الحياة البشريَّة ليس لها مقياس واحد ولا الاعمار لها مقدار واحد . وها انا نرى الناس الان لا يعيشون كلهم عمراً واحداً بل منهم من يعيش عشر سنين مثلاً ومنهم من يعيش مائة وثلاثين سنة فالنسبة بين هذا وذاك من جهة العمر كالنسبة

بين اناس هذا العصر واولئك الآباء الاوّلين ومن ترى يقول بان التفاوت الحاصل بين عمر من يعيش عشر سنين وعمر من يعيش مائة وثلاثين سنة من اهل هذا الزمان هو مخالف للمبادئ الطبية ؟

هذا ولا يخفى على البصير المتدّين ان للعناية الالهيّة في تدبير هذه الخلائق اسرارًا تأتيها بحسب مقتضيات الازمان والاحوال . فالاولون قد أُتيح لهم ان يعيشوا طويلًا لغاية تكثير النسل وتوطيد اركان العمران ونشر الديانة والعبادة الالهيّة والمعارف الضروريّة لتدبير الحياة البشريّة هذا فضلًا عن حسن بنية اجسامهم وتعففهم في المعيشة فلو لم يعش آدم معهم ويعيشوا هم معهُ زمانًا طويلًا لما تأتّى لهُ ان يبثّ بينهم ما كان المولى قد زانهُ بهِ من الحكمة والمعارف منذ يوم نشأتهِ . فائمّة العلماء قد اجمعوا على ان آدم الاب الاول لم يوجد في هذا الوجود في حالة الجهالة اي «صحيفة غير مكتوب عليها شيء» كما يوجد باقي الناس بل زانهُ مولاهُ جلّ جلالهُ من يوم برأهُ بالحكمة والعلم . وبيانهُ انّ آدم سمّى الحيوانات باسمائها على ما قال الكتاب في الفصل ٢ من سفر التكوين : «فدعا آدم باسماء جميع البهائم وطيور السماء وجميع حيوانات البريّة وكل ما دعا بهِ ذات نفس حيّة فهو اسمها» اي انّ آدم عرف مزايا هذه الخلائق وطباعها ووضع لها اسماء مطابقة لها قال كلمت عند هذه الآية : «ان تسمية آدم لهذه الحيوانات باسمائها ضرب من استعمال ولايته عليها ووضعهُ اسمًا مطابقًا لكلٍّ منها يستلزم معرفة سامية فيهِ ليتسنى لهُ ان يعرف طبائعها وخصائصها توصّلًا الى وضع اسماء مناسبة لها . ولذلك قد اخذ الفلاسفة الاقدمين العجبُ العجاب من علوّ حكمة من اخترع اولًا

تلك الالفاظ واجراها على تلك المخلوقات مسمّيًا كلّا باسم مناسب لها . قال يوسيفوس : انّ تلك الاسماء التي بها سمّى آدم الحيوانات كانت عبرانيّة لانّ اللغة العبرانية فيها مطابقة عظيمة بين تلك الاسماء ومسمّياتها

وقال القديس توما اللاهوتي : لقد ابدع الانسان الاول من الله عالمًا بجميع الاشياء التي من شأن الانسان ان يتعلمها اي جميع ما يقدر الانسان ان يعرفهُ بالقوّة الطبيعية لكن لمّا كان تدبير الانسان لحياتهِ وحياة غيرهِ لا يستلزم ما يمكن معرفتهُ بالقوّة الطبيعية فقط بل معرفة ما لا تصل اليهِ المعرفة الطبيعية ايضًا من وجه انّ حياة الانسان متّجهة الى غاية فائقة الطبع كانَ لا بدَّ لنا في تدبير حياتنا من معرفة عقائد الايمان . ومن ثمّ فالانسان الاول قد تلقى من معرفة هذه الامور ما كان ضروريًا لتدبير الحياة الانسانية باعتبار تلك الحال واما سائر الاشياء التي لا يمكن الانسان معرفتها بالاجتهاد الطبيعي ولا هي ضرورية لتدبير الحياة البشرية فالانسان الاول لم يعرفها وذلك كافكار الناس والحوادث المستقبلة وبعض الامور الجزئية كعدد حصى النهر ونحو ذلك . فالانسان الاول اذا حصل له علم جميع الاشياء بالصور المفاضة من الله ولم يكن ذلك العلم مع هذا مغايرًا في الحقيقة لعلمنا بقياس ما انّ العينين اللتين وهبهما المسيح لذلك الاعمى لم تكونا في الحقيقة مغايرتين للاعين التي اصدرتها الطبيعة . وكما خلق الانسان منذ الابتداء كاملًا في جسده قادرًا على التوليد كذلك وُجد كاملًا في معارفهِ لتدبير حياتهِ وحياة غيرهِ ولقد كان واجبًا ان يكون له من حيث كان الانسان الاول شيء من الكمال لا يقتضي لسائر الناس : انتهى

بتصرُّفٍ قليل (المبحث ٩٤ في حالة الانسان الاول) (المشرق ٤ : ١٥٢)

الالفة البشرية

لقد خُلق الانسان أليفاً مؤآلفاً

أني رغبت بهذه المقالة ان أُبين لكم يا معشر الادباء الكرام ان الالفة بين الناس طبيعية وان الخالق جلَّت حكمتهُ قد خلق الناس للالفة لمقاصد منهُ شريفة عائدة الى خيرهم وكمالهم في هذه الدنيا وهي تفضي بهم الى السعادة الخالدة الى الله مرجعهم ومن ذلك نتطرَّق الى بيان كون الجمعيَّات والشركات والاخويَّات والمحافل الادبيَّة وما اشبه من المجتمعات الخصوصية التي تتألف من افراد من خيار الناس لمقاصد خيريَّة عموميَّة كمقاصد جمعياتكم النبيلة هي مكمّلة الالفة البشريَّة او بعبارة اخرى هي الالفة الكاملة

☆

لقد زعم البعض ان الانسان وُجد في اصلهِ معتزلاً متوحداً في حالة همجيَّة هي اشبه شيء بحالة حيوان البرّ او وحش القفر لا بل أوجدوهُ في حالة احطَّ منهُ اذ تصوَّروه وصوَّروه ضارياً مفترساً لا عيشة لهُ الا براعي شهواتهِ كالبهائم ولا شغل لهُ الا بمناصبة ابن جنسهِ والبطش بهِ على حين انَّ الوحوش الضارية لم توجد في هذه الحالة العدائية لبعضها فالآساد او الذئاب مثلاً لا يبطش بعضها بالبعض الآخر والَّا لبادت منذ أمد بعيد . وها نحن نرى الاطفال الصغار الرضاع تكذّب تصوُّرات هؤلاء بما يبدونهُ لبعضهم من التقارب والتحابّ من ذات طبعهم بحيث لو اردتَ فصل الواحد منهم عن اخيه لوجدتَ فيهم تمنُّعاً وصعوبة

ثم أنهم بهذه الصورة التي احبوا ان يصوروا فيها الانسان لم يبقوا على نفسه الشريفة التي تترفّع عن هذه المنزلة الدنيّة البذيّة . فهو السيد العظيم المتسلط على هذه الموجودات كالطيور والاسماك والحيوانات وسلطته هي من العلاء من لدن الله تعالى لقوله (مز ٨ : ٩) «وعلى اعمال يديك سلطته الغنم والبقر وجميع حيوان البرّ» . لكنّهم لفساد افكارهم جعلوها اشرف منه وهذه سفاسف منهم ساقطة لا يُعبأ بها وما اشبهها بالحكايات والخرافات او هي تخيلات وهميّة لم يوردوا عليها من بيّنةٍ ولا حجة . وها ان تواريخ جميع الامم لم تورد شيئاً عن حالة الانسان هذه الوحشيّة الفرديّة الذميمة . نعم ذكرت التواريخ تقدُّم الالفة في امّة وتفاوت شعبٍ عن آخر فيها باستكمال اسباب المعيشة ونظامها لكن لم تفد تلك التواريخ ان الطائفة البشريّة وُجدت افرادُها كلٌّ منهم معتزلاً منفرداً عن الآخر لا يألفهُ ولا يراعيه لا بل لا شغل لهُ الّا بمناصبته ومحاربتهِ حرباً عواناً متصلة لاهدنة فيها ولا صلح . على أنهُ لو فرض وجود بعض البشر على تلك الحالة فذلك من الشوارد النوادر وعلى النوادر لا تبنى قاعدة ولا قياس وهو كمن يولد اصمّ أبكم او ذاعاهة . واذا بحثنا عن حقيقة شروده وجدنا السبب وعند معرفة السبب بطل الاعتراض على هذا المبدإ الذي لهُ من الادلة اللامعة والحجج الساطعة ما لا يُعدّ ولا يحصى وكلها تؤيد كل التأييد كون الانسان من طبعه وجد أليفاً مؤآلفاً او كون الالفة وجدت بين الناس من اصلهم . ونحن نكتفي الآن لضيق المقام بايراد بعضها فنقول :

١ (اوّلاً) ان الانسان بحال دخوله هذا الكون طفلاً صغيراً نراه

يحتاج كلَّ الاحتياج الى وسائط ووسائل خارجيَّة لوقايتهِ وحياتهِ بخلاف الاسماك والطيور والحيوانات العجماء فان الطبيعة تؤتيها ما يلزم لوقايتها ومعيشتها فالانسان اذاً مولود وموجود للمخالطة والالفة من ذات الطبيعة . قال القديس توما فيلسوف النصرانيَّة الشهير : " انهُ طبيعيٌّ للانسان اكثر جداً من جميع الحيوانات ان يكون حيوانًا اليفًا سياسيًا عائشًا بين جماعةٍ ودليله حاجاتهُ الطبيعية فان الطبيعة قد اعدَّت لباقي الحيوانات غذاءها وكساءها وصوانها كالجلد والصوف والمخالب والبراثن والقرون والاظافر او على الاقل كالاسراع الى الفرار والنجاة بخلاف الانسان فالطبيعة لم تُعطهِ شيئًا من هذه بل أعطتهُ بدلاً منها فهمًا مع معاونة يديهِ لتحصيل هذه اللوازم . ولكن لا يكفي انسانٌ واحد لتحصيل هذه كلها لان الانسان الواحد غير كفوءٍ من نفسهِ لان يحيا اذ انهُ وحدهُ لا يكفي لتحصيل حاجات المعيشة . وزد عليهِ انَّ باقي الحيوانات غرسَ فيها من طبعها ان تحسَّ بما ينفعها وما يضرها فالنعجة مثلاً تفر طبعًا من الذئب لانهُ عدوها وبعض الحيوانات تحس بان عشبةً كذا هي دواءٌ شافٍ لها او انها ضروريةٌ لحياتها بخلاف الانسان فانهُ لا يتوصَّل الى معرفة ضروريات حياتهِ ولوازم معيشتهِ بمفرداتها الَّا بالالفة لانَّ الواحد لا يستطيع الوصول الى معرفة كلٍّ من هذه اللوازم والى تحصيلها باستعمال ما عنده . فترتَّب عليهِ ان يعيش بين كثيرين يساعد احدهم الآخر على تحصيل لوازم المعيشة متشاغلاً كلٌّ منهم بكلٍّ منها "

وها نحن الموجودين هنا نرى مصداق ذلك فينا فالملابس التي نلبسها من صوف وكتان وحرير وجوخ مثلاً كم اقتضت من الاعمال والعمال فالحرير

مثلاً كم اقتضى من الاشغال كغرس توت في الارض وحراثته وملاحظته مدّة لقيامه ثم استجلاب بزر الدود ثم تربيته ثم شغله في المصانع والمعامل ثمّ ... وثمّ ... الى ان صار يصلح للبس . ومثله الطعام الذي نأكله فاننا نسعى اولاً في طلب البذار ثم في شغل الارض لزرعه فيها . والحارث الذي يزرعه يحتاج الى محراث وهذا يحتاج الى نجارة وحدادة واشياء أخر لربط ادوات الحراثة . والزرع في الارض يحتاج الى نظارة وملاحظة ثمّ حصاد . وهذا يحتاج الى ادوات وفعلة وبعد الحصاد الدراس وهذا يحتاج ايضاً الى مثل ذلك . ثم الى الطحن والطحن يلزمه مثل ذلك . وبعد الطحن يلزمه عجن وخبازة وكل هذه تحتاج الى ما تعرفونه . واذا انتقلنا من الخبز الى باقي الوان الطعام الذي نأكله وجدناها مثل الخبز في كثرة حاجاتها وحساباتها . واذا قمنا عن الطعام الى السرير الذي نرقد عليه وجدنا الامر كذلك . ومثله البيت الذي نسكنه . ومثله الفرش والاثاث والرياش التي تزينه فلو عددنا بتدقيق كل ما لزمها من الوقت والشغل والمشتغلين والبيع والشراء حتى توصلت الينا لاقتضى ذلك وحده كثيرين كما يعرف كلّ منا

واذا نظرنا الى ما يختص بنا من لوازم العقل او النطق لتخريجه وتفقيهه في المعارف والعلوم أية كانت رأينا ان ذلك قد استلزم اناساً واناساً اشدّ كما استلزم ايضاً اجيالاً وأحقاباً . فكم وكم من الناس تشاغلوا في امر اللغة التي نعرفها من جمع كلماتها وتفسير عباراتها واشاراتها وضبط حركاتها وربط قواعدها وبيان مواردها خلا الذين وضعوا اوضاعها وحاكوا صناعتها وصاغوا معانيها وانشأوا معاهدها واقاموا معاقدها فانّ طول المدى بيننا وبينهم يحول

دون معرفة ما لاقوا من المشاق وصرفوا من الأيّام والأعوام في مدّهم امامنا بحرًا من لغتنا العربيّة الشريفة التي ترفُّ باجنحتها على اكثر اللغات في تقادم عهدها وعراقة مجدها وغزارة موادّها وتفنن ابائها واجدادها حتى لو قضى الواحد عمرهُ في مطالب غناها ومباحث خبرها ومبتداها لفاتهُ منها امورٌ شتى ومات« وفي قلبهِ شيءٌ من حتى» . وما لنا وهذا التطويل وكفى اللبيب منهُ اشارة فلنعد الى موضوعنا وفيهِ قال المعلم ڤيكتور كوزين: «لست ارى قولكم بانَّ الانسان ليس هو من طبعه اليفًا الَّا تخيلًا ووهمًا . قولوا لي ايُّ امتحان سوَّل لكم ان تقضوا عليهِ بانهُ من طبعهِ غير ميَّال الى الالفة ؟ لا بل ايُّ امتحان ادَّى بكم الى الريب في ذلك ؟ نعم ان الاختلاف في الاعصار والامصار والاصول والفصول قد البس هيئة الالفة ملابس مختلفة وصوَّرها في صور واشكال متباينة الَّا ان مبدأها واحد وما زال كذلك . ولو فرضنا ان قد غشيهُ طارئٌ من افات الالفة ذات وقت الا انهُ لم يلبث ان عاد باسرع ما يمكن الى عهد جمالهِ زاهيًا زاهرًا »

٢ ان الطبيعة ميزت الانســان عن غيرهِ من الحيوان بقوة النطق والكلام ولكن ايُّ فائدة من وراء ذلك بدون الالفة أيقدر الانسان من ذات نفسهِ ان ينطق بلغة او تراهُ يخاطب خياله . ان الكلام انما هو لتأدية افكاره الى غيره فاذا لم يكن مترتبًا من طبعهِ للالفة لم تكن عطيَّة الطبيعة هذه الخصوصيَّة لهُ الَّا سدًى لا نفع منها . قال كبير فلاسفتنا الاكوينيّ : «لمَّا كانت الطبيعة قد وهبت الانسان نعمة الكلام وليس الغرض منهُ إلا المواصلة بين الناس في ما يفيد وما لا يفيد وما يحسن ومـا لا يحسن الى

نظير ذلك ولمّا كانت الطبيعة لا تعمل شيئاً عبثاً لزم من ذلك ان الاختلاط بني البيت ثمّ المدينة»

٣ ان في الانسان وجبلّته اميالاً مغروسة تميل به الى مشاركة غيره بما لديه فالعالم مثلاً يحب ان ينشر علمهُ ومعارفهُ بين الناس كما يحب اذا كان في غم او فرح ان يشاركوه ويشق عليه او غادروه وشأنه . وهكذا لو رأى الانسان غيره مسروراً او حزيناً فانه لا يتمالك من التأثير معهُ وبالاحرى لو رآه في طامة كبرى فلا يتمالك من المبادرة الى معاونته امّا بيديه وامّا بماله او على الاقل بلسانه . وهذا النوع الاخير اي المساعدة بالكلام كثيرٌ ورائج عند الكثيرين لا بل الاكثرين لكنهُ اذا لم يكن صاحبهُ قادراً على غيره كان مقبولاً والّا فلا . قال يعقوب الرسول : «ما الفائدة ايها الاخوة اذا رأى احدكم اخاً او اختاً عريانين وليس لهما طعام يوم وقال لهما اذهبا ادفئا واشبعا ولم يطعمهما شيئاً»

٤ ان في الانسان استعداداً للترقي والتكمل الّا ان استعدادهُ هذا لا يفيدهُ شيئاً من دون الالفة وهذا الاستعداد هو في الانسان دون باقي الحيوانات . فالحمار مثلاً منذ آدم حتى الآن والى منتهى الايام لا يزال على ما كان وقس عليه باقي الحيوانات . وامّا الانسان فلما هو عليه من التهيؤ للترقي من ذات طبعه قد ترقى وما زال يترقى وما ذلك إلّا لوجوده بين جماعات قد استجمعت قوى مختلفة واقتسمت بينها الاعمال فقام كلٌّ منها بما هو اهله . وما توصلوا اليه من الاختراعات والفنون والاكتشافات في احد الاجيال الغابرة تركوه بعدهم فتوارثه اهل الجيل التالي فتداولت

الاجيال آثار اولئك الرجال وهكذا ما برح الانسان يتدرج في مدارج المعارف والكمال ولولا ذلك لبقي الانسان على حالة واحدة

لا يخفى عليكم يا معشر الادباء الفضلاء ان الناس هم بمنزلة قطع او اجزاء لمجموع الطبيعة بكاملها فلا يظهر ما عندها ولا يعرف ما هي قديرة عليه اذا ما اخذنا كلاً منهم على حدته ولكن عند تاليفهم وضمهم معاً جملة نعلم عظمة مقدرتها ثم والحالة هذه اشبه شيء باعضاء جسم لا يتبدى له عمل ولا جمال الا باجتماع كل اعضائه . قال فم الذهب قولاً خليقاً بان يكتب بماء الذهب : « ان الله تعالى حكمته لما شاء ان نكون متحدين مرتبطين بالفة كاملة لم يخلقنا فقط من أب واحد بل جعل فينا ايضاً افتقاراً الى بعضنا . وعليه جعل في كل من الارضين حاصلات وغلات ليست في غيرها حتى ان البشر في كل العصور يتبادلون ويتقايضون ما عندهم من الحاصلات فيرسل اهل هذه البلدة ما زاد عنهم من حاصلاتها الى البلدة الاخرى ويستأتون بدلاً منها ما يعوزهم من حاصلات تلك وبهذا تحصل بينهم المعاملات والمواصلات . وفوق هذا ان حكمة الله جعلت سراً عجيباً في البشر وهو ان لا يكون احدهم عالماً وخبيراً في كل الامور بل اعدت هذا لأن يكون تاجراً وذاك ذكياً الى غير ذلك من تقسيم الطبيعة على افراد الناس بحيث لا ينفك احدهم مفتقراً الى الآخر ولا ينقطع بينهم رباط الائتلاف والحب » اهـ . قال شيشرون الفيلسوف الشهير : « ان يد الطبيعة لقّحت في كبدنا حب الالفة » اهـ

٥ واما الائمة المتأخرون فقد توسعوا في هذا البحث وبسطوه ،

ومنهم فيلانجاري القائل: «ان باري الطبيعة لو لم يخلق الانسان للالفة لأتى أمراً مخلاً في اجلّ اعماله فما ترى كانت الفائدة من اعطائه عقلاً لا يتّسع ولا ينشرح الّا بالمباشرة والمخالطة ؛ ولماذا اعطاه قوّة بها يطبّق تصوّراته على الفاظ واصطلاحات تؤدّيها الى فهم الغير ؛ ولماذا لم يعطِ كل الناس درجة متساوية من القوّة والعمل والفهم ؛ ولماذا زرع في قلوبهم بذار الرحمة والرأفة باقرانهم وجعلهم يطلبون ارتياحهم وامتداحهم ويتوخّون رضاهم وثناءهم ؛ لا بل لماذا جعل بينهم الغيرة والمنافسة لان هذه الانفعالات المغروسة في جبلة الطبيعة لا بل في الطينة الآدميّة لم يكن لها موقع لو لم يكن الانسان من اصل طبعه معدًّا للالفة والاختلاط مع الناس» اه

سبحانك اللهمّ من حكيم قدير ربطت البشر بعضهم ببعض بهذه الروابط القويّة لا بل قيّدتهم بهذه السلاسل العجيبة المسبوكة بحاجاتهم وعواطفهم واشكال عقولهم ومداركهم ... اما نحن معاشر النصارى فانك لم ترضَ لنا بهذه القيود الطبيعيّة بل جعلت لنا من وجه الشرف والمجد قيودًا ادبيّة دينيّة لا بل سماويّة الهيّة اذ امرت بان تكون الالفة والمحبة بيننا شعارًا لنا بكوننا تلاميذك واولادك لاننا كلنا اخوة متساوون في العماد والايمان والكنيسة ومعدّون لوراثة ملك واحد في السماء فتكون المحبة والحالة هذه بيننا وهي اقوى رباط الالفة شريفة روحانيّة لا ارضيّة حيوانيّة . هذا فضلاً عن كون كلتا المحبّتين مترتبتين علينا من وجهين من حيث كوننا اناسًا لابسين الطبيعة البشريّة ومن كوننا مؤمنين بك وبانجيلك المقدس الذي قد تفضل علينا بان رسم لنا هذه الرسوم الطيّبة للالفة التي هي اشرف من

عمل موسى في جانب بني اسرائيل . فانَّ وصايا الله كانت منقوشة من يد الطبيعة على صفحات لحمية في قلوبهم لكن لمَّا غشيتها غشاوة هبطت على عيونهم عاد فرسمها لهم وسطرها باحرف كبيرة على الواح حجارة . غيرانَّ عملك في جانبنا والحق احق ان يقال هو اجلُّ واشرف واحلى والطف . فهناك نساعد الفقير بحسب مبادئ الطبيعة قضاء لرغائب فينا او مآرب لنا اذ قلنا ان الانسان ميَّال الى الالفة لافتقاره الى ابن جنسهِ او لعاطفة نحوه من نفسهِ انتظارَ ان يعامله بالمثل واما هنا في الشريعة الانجيلية المقدَّسة فاننا نبذل الاحسان الى الانسان كأننا نبذله الى شخص السيد المسيح لهُ السجود والتسبيح وهو تعالت جودته يحاسبنا به يوم الحساب امام تجاه الملائكة والانام ويعطينا بدل الواحد مائة لا بل اضعاف الاضعاف

أقول أخيراً انهُ لقد ثبت مما قدمناانَّ الانسان وُلد للالفة ووجد لها والالفة خُلقت لهُ ولكن يرِدُ علينا ثلثة سؤَالات كأنها اعتراضات : الأوَّل كيف تعلَّم الانسان في بدء وجوده لغةً واين كانت الالفة يوم وُجد اول انسان ليتعلم منها لغةً هي اوَّل اللغات ومرضعها ؟ . (الثاني) وان كان النَّاس وُجدوا للالفة والالفة خُلقت معهم ليكونوا موَّالفين ومتآلفين فلماذا لم تكن الارض بينهم بالتساوي حفظاً لميزانية الالفة او لماذا لا يتقاسمونها الآن بالسواء دفعاً للخصام والقتال الحاصل بينهم بسبب عدم المساواة وهذه كلها آفات على الالفة التي اجهدت نفسك في بيان اركانها وتوضيح دليلها وبرهانها . اماَّ الاعتراض (الثالث) وهو الاهم والاعمّ فهو ان كانت الالفة وُجدت للناس والنَّاس وُجدوا لها فلماذا نرى بينهم التباين العظيم في ما

سوى ذلك من خيور الطبيعة وعطاياها وحظوظها وبلاياها وبعبارةٍ ثانية لماذا نرى هذا غنيا سريّاً مع ما هو عليه من نواقص المعارف ونقائص الاعمال وذاك على ما فيهِ من سموّ المدارك وحسن المسالك في أسوإ حال يركض الحظُّ من امامه اكثر ما يركض هو وراءهُ

أهبتُ بالحظّ لو ناديتَ مستمعاً   والحظُّ عنّيَ بالجهّالِ في شُغُلِ

فلو وُجد التوفيق لهذا الأمر بين الناس بان تكون الخيرات في هذه الدنيا بحسب استحقاقهم من جهة جدّهم وفضلهم وعقلهم لكانت الألفة بينهم دون خصام ولا تذمّر فلا نعود نسمع زيدًا يقضي ايامه وأعوامه متذمّرًا من معاكسة الدهر لهُ واينما رأيتهُ وجدته متشكّيًا من قلة حظه من الناس لانه يرى عمرًا وهو أحطُّ منه في كل ذلك بعكسه موفّقًا ناجحًا متقدّماً. فهذه الأمثلة الثلاثة تعارض مبادئ الألفة التي تكلمنا عليها على ما يظهر لطارحها وهي لا تخلو من اهمية النظر فيها ولا سيما هذا الأخير المتعلّق بتباين الحظوظ وتعاكس الطوالع فانَّ فيه والحقُّ يُقال ما يقضي بالحيرة والدهشة لِما في مطاويه من الغموض والأشكال حيث نرى هذا ذكيًّا نقيًّا مكدًّا مجدًّا ومع هذا نراهُ خاوي الوفاض بادي الأنفاض وهو يصرخ مع الشاعر قائلًا :

اروم بسطة كف نستعين بها   على وفاء حقوق للعلى قبلي
والدهر يعكس آمالي ويقنعني   من الغنيمة بعد الكدّ بالقفَلِ

ويزيدهُ في وغر صدرهِ من معاكسة دهرهِ ما يراه في جارهِ وهو قليل العقل والفضل ومع ذلك هو حسن الحال كثير المال لا تسع اهراؤهُ ما يأتيهِ من الغلال

اقول ان الجواب على هذه الاسئلة يروقكم وفيه تتمّة الفائدة من خطابنا في الالفة وهو من المباحث التي تدور عادةً في مجالس الناس فيشوق كلّاً الوصول الى معرفة دخيلة الامر منها . لكن لسوء الحظ قد عاكسني الوقت الآن فلم يبقَ لي منهُ ما يفي بالمطلوب الّا انهُ وعدني بفرصة أخرى ان شاء الله فارجو قبول العذر والاخذ بوعدهِ ولكن عدت فاسترحمته طالبًا منهُ هنيهةً للجواب على السؤال الأوّل دفعًا لما عساه ان يخالج صدور هؤلاء السائلين الثلثة من المخاترة في المطل حتى اذا نال الاول منهم مطلوبه عاد الآخران على ثقة من الوعد . فاقول جوابًا على (السؤال الاوّل) وهو كما تقدّم كيف تعلم الانسان الاول في بدء وجوده لغةً هي مرضع لباقي اللغات وهل وجدت الالفة قبلهُ حتى يتعلّم منها الكلام وهل يولد الآن احدٌ من الناس ينطق بلغة دون ان يتعلّمها والجواب هو ان اصدق تاريخ للكون البشري وهو الكتاب المقدّس قد افادنا ان الله تعالى جلّ جلاله وتسامى كمالهُ قد خلق الانسان الأوّل كاملاً مستوفيًا كل ما كان لازمًا من المعارف لادارة المعيشة الانسانية . ولمّا كان معدًّا لأن يكون ربَّ عائلةٍ عظيمة اعطاه من العمر جانبًا عظيمًا ٩٣٦ سنة ليعلّم اولادهُ ونسلهم ما كان لازمًا لحياتهم وذكر هذا الكتاب العزيز « ان آدم سمّى كلًّا من الحيوانات باسمائها وكان كما سمّاهُ » وبهذه العبارة اشار الى انهُ كان يعرف لغةً وكان يعرف ايضًا طبائع تلك الحيوانات وخصائصها والّا لما كان كلّ حيوان كما سماهُ . ثمّ ذكر ان الله لم يستحسن ان يكون آدم وحدهُ بل خلق لهُ معينًا واليفًا وهي حواء . قال فيلسوفنا الشهير وهو مار توما: « ولمّا كانت الاشياء

في البدء أُبدعت من الله لا لتوجد في انفسها فقط بل لتكون مبادئ لغيرها ايضاً صدرت على حالٍ كاملة لتقدر ان تكون فيها تلك المبادئ . والانسان يقدر ان يكون مبدأ لآخر لا بالتوليد الجسماني فقط بل بالتعليم والتدبير ايضاً . ولهذا كما أُبدع الانسان الأوّل كاملاً في البدن ليقدر حالاً على التوليد كذلك أُبدع ايضاً كاملاً في النفس ليقدر حالاً على تعليم غيرهِ وتدبيرهِ . وليس لاحد ان يعلم ما لم يكن هو عالماً ومن ثمَّت أُبدع الانسان الأوّل عالماً بجميع الاشياء التي من شأن الانسان ان يتعلمها وهي جميع تلك الاشياء الموجودة بالقوة في المبادي الاولى البيّنة بانفسها اي جميع ما يقدر الناس أن يعرفوه بالقوة الطبيعية . ثم انَّ تدبير الانسان لحياتهِ وحياة غيرهِ لا يقتضي فقط ما يمكن معرفتهُ بالقوة الطبيعيّة بل معرفة ما لا تصل اليهِ المعرفة الطبيعية ايضاً من حيث ان حيوة الانسان متَّجهة الى غاية فائقة الطبع كما اننا لا بدّ لنا في تدبير حياتنا من معرفة عقائد الايمان وعليهِ فالانسان الاول قد بلغ من معرفة هذه الامور الفائقة الطبع مقدار ما كان لازماً لتدبير الحياة الانسانية باعتبار تلك الحال» . ثم زاد هذا العلامة على هذا الكلام فقال: «انَّ آدم وضع اسماء لجميع الحيوانات واسماء الاشياء مناسبة لطبائعها فاذن كان آدم يعلم طبائع جميع الحيوانات وبجامع الحجَّة كان يعلم جميع الاشياء الأُخر» انتهى قول هذا الفيلسوف

وممَّا تقدَّم عرفت ان آدم الجدّ الاول للجنس البشري خُلق من الله متعلماً لغةً وكل ما كان لازماً لادارة المعيشة وها ان بكرَي اولاده قاين وهابيل اتخذا لمعيشتهما صناعة الزراعة ورعاية المواشي وتربيتها وهذان

الفنَّان هما الاولان للمعيشة البشريَّة وعليهما مدار التجارة والمعاملات وهما مصدر الثروة والاستغلال . ثم ذكر الكتاب عن ابن قاين المدعو اخنوخ انهُ بنى مدينةً ثم ذكر عن يوبيل انهُ كان يضرب بالعود والمزمار وهو فن الموسيقى الذي يطرب الخواطر ليس من الانسان فقط بل من الحيوانات ايضًا . وها انَّ الاقدمين كثيرًا مـا ذكروا عن رعاة المواشي ضرب العود والمزمار إشعارًا بما قدمنا من ان هذا الفن الشريف وهو الفن الموسيقيّ قد وجد منذ الاول مع الانسان الاول . ثم ذكر الكتاب ان توبال قاين وهو اخو يوبيل المذكور كان الضارب لكل آلة من حديد ونحاس وذهب وهذا العمل الكبير يستلزم علم كشف المعادن والمناجم ولاتخفى اهميَّة هذا العلم ونقول بالاجمال اذا نظرنا الى الشعوب القدماء كالمصريين والفينيقيين والاسرائيليين والاشوريين والفرس واليونـان وغيرهم من امم الشرق المتأصلة في القدامة وجدنا الفنون والصنائع والاختراعات والعلوم باجمعها كانت زاهيةً زاهرة عندهم وكثيرٌ منها باد معهم وبعض ما تبقى من آثارهم لا نعرف ونحن في عصر النور كيف عملوهُ ! ! . .

فكيف يسوغ والحالة ما ذكر ان نحطّ بالانسان الى المنزلة السـافلة التي اراد البعض ان ينزلوهُ فيها خاليًا عاريًا من كل علم وادب وفهم كانما هو بهيمة ترعى في البراري والقفار على حين انهُ هو السيد العظيم الحكيم الذي وحدهُ قدر ان يعرف كل ما في هذه الخلائق والكائنات ارضيَّة وسماويَّة من الغوامض والاسرار ومن المنافع والاضرار . فقدهبط بطون الارضين فعرف خزائنها وغاص في أعماق البحار واستخرج درّها ودفائنها

وجاب هذه الكرة التي هو عليها فعرف طبائع وخصائص كل ما فيها من نبات وجماد وحيوان ودبيب وطائر . ثم طار محلقاً ببصره في الجو فوقه الى الكواكب السموية كالشمس والقمر والنجوم فعرف مدارها وادوارها وعدد ساعات ليلها ونهارها فاستخلص من كل مباحثه هذه ما عاد عليه بجزيل النفع في تدبير حياته ورفاهيته حتى لو قدرنا ان نعد ما عمله الانسان من اختراعات واكتشافات وفنون وصنائع لاقتضي ذلك منا اعواماً ومجلدات ضخاماً وكل هذا دليل ساطع كالشمس وسط النهار على ان الانسان لم يوجد قط كما احبوا ان يوجدوه بهيمة ترعى عشب الارض . فلو رفعنا الانسان من هذا الكون لخلنا الارض عادت ثانية « توه بوه » كما قال الكتاب اي خاوية خالية « والسر بالسكان لا بالمكان »

اما انتم معاشر الأدباء ارباب هذه الاخويات والجمعيات الكريمة فلقد استجمعتم والحق شاهد لكم من منافع الانسانية ومحاسنها اسماها واسناها اذ اخذتم من عواطف البشرية اشرفها واحلاها وهي عاطفة الرأفة والحنان وعلى هذه القاعدة الذهبية بنيتم معاهد اخوياتكم وجمعياتكم فتفانيتم في محبة القريب وتفانيكم هو حياة وعمران وبذلتم بجانب المسكين الدراهم دون التفات الى ذهاب اموالكم اعتقاداً منكم بان هذه التجارة كلها ارباح . ثم ان كانت الالفة للانسان مورد تهذيب ونجاح فالجمعية مولفة من نخبة شبان ادباء علماء ذوي حمية واريحية ومهزة نفوس عزيزة ابية ومكارم اخلاق ومقاصد نجاح وترق هي اولى بذلك وهولاء انتم تعلمون ان جميع العلوم والفنون والصنائع ما ترقت بالحقيقة الا بالشركات الخصوصية . ومن

المعلوم الثابت «ان القوّة بالاتحاد»، وهذه الممالك العظيمة ما تألفت الأمن بلدان والبلدان تألفت من مدن والمدن من بنايات، وها كم هذه القاعة التي انتم فيها ما قامت الأمن موادّ ضُمّت الى بعضها فتماسكت وتلاحمت فألفت معهداً للآداب من اهل المشيب والشباب ، وهذه دعائم الجسور واسانيد القصور فانها لا تكون قويّة الا ان تضمّ الى بعضها متشابكة متماسكة حتى اذا صُدم احدها من جهةٍ صدمة تلقّت كلها تلك الصدمة فلا تؤثّر فيها ، وهذه جحافل الدول التي تحمي رؤوس الملوك وتيجانها وتردّ الغارات عن رعاياها وبلدانها فان قواها انما هي بالاتحاد ، وما لنا وهذه المشابهات والمقارنات وكلٌّ منا انفسه اقوى دليل اذ نحن ضمن هذه غرفة القراءة التي باتت مجتمعاً للآداب والمعارف الحميدة جامعة في خزائنها جانبًا غير قليل من التآليف المفيدة كما قد جمعت من الادباء والخطباء وذوي المكارم النبيلة والمعارف الجزيلة جانبًا جلوسًا على كراسيها وفيها اذن اجتمع من العلماء والخطباء ضدّان متكلم وصامت وناطق وساكت ، وللتوضيح اقول ان اصحاب التآليف المنضودة في هذه الخزائن يعلموننا وهم صامتون فنحن في وسطها مخاطبون ومتكلمون ومكالمون ومن تراهُ يخاطب معلمهُ ومعلمهُ يكلمهُ ولا يستفيد ، واي وقتٍ اثمن من هذه المواقيت التي هي احرى ان تدعى يواقيت ، واي شيءٍ احبّ لديك من ان تفيد وتستفيد ، فلست ارى والحالة هذه الأ ما ترون من ان هذه الغرفة التي هي مجموعة جمعياتكم صارت كمدرسة عالية لنا الّا انها لا تطالب عن اجرة التعليم الا بالرضى والدعاء الحميم فسعداً لكم يا ذويها وشكرًا لكم يا منشئيها ، اه

قال المشرق (٥ : ٦٥٤) عند نشره هذه المقالة: «اطلعنا على خطاب نفيس من قلم حضرة

العالم المدقق المنسنيور يوسف العلم الوكيل الاسقفي في بيروت تلاه مساء ٢٨ حزيران في دائرة غرفة القراءة لاخوية القديس مارون ابرع منّا موقفًا حسنًا [illegible] في المرأة [illegible]

الحظوظ تبايُن بين الناس

خطاب تلاه في غرفة القراءة لاخويّة القديس مارون في ٣١ تموز سنة ١٩٠٢ ودُرج في المشرق (٥ : ٧٩٢)

انّنا في كلامنا السابق « في الالفة البشريّة » في هذه الغرفة البهيّة وعدنا بالجواب على اعتراضين أوردهما المخالفون حرصًا على الالفة (اولهما) لماذا لم تكن الارضون مقسومة بين الناس قسمة متساوية حفظًا للالفة بينهم او لماذا لا تُقسم الآن بالتساوي دفعًا للعناد الذي يحصل بينهم من عدم تساويهم في اقتسامها . (ثانيهما) لماذا تباين الناس في الحظوظ تباينًا مبينًا على حين قد خُلقوا من اصلهم للالفة فانهُ لا يلائم مبدأ الالفة على زعمهم ان يُرى هذا غنيًّا سريًّا مما هو عليهِ من نواقص المعارف ونقائص الاعمال وذاك على ما فيهِ من سموّ الفضائل وحسن المناقب في اسوإ حال لا قيمة له ولا قدر وكأني بهِ يقول :

وكم اخطرُ في بالٍ ولا اخطر في بالِ

فلو وُجد توفيق بين الناس في هذا الاضطراب لكون خيور هذه الدنيا لهم بحسب استحقاقهم من جهة فضلهم وعقلهم وجدّهم لاستتبّت الالفة بينهم . فانجازًا للوعد وحبًّا بتتمة الفائدة من كلامنا على الالفة البشريّة ولواحقها اقول الآن

الردّ على الاعتراض الاوّل في اقتسام الارض بالتساوي بين الناس

ان الاعتراض الأَوَّل ليس من ورائه كبير امرٍ ولا هو من المشاكل

الاغنياء عليهم ان يوزعوا من فضلاتهم على المساكين مستخدمين لهم في اشغالهم وعلى المساكين ان ينفعوا الاغنياء في اجتهادهم وخدمتهم في مصالحهم فهذه هي قاعدة الاقتصاد المسيحي وهو مطابق للعدل والعقل . قال فم الذهب : «وما مثل هؤلاء واولئك الا مثل البطن والاعضاء فان البطن حقه ان يتناول الطعام لكن لا لحفظه برمته لنفسه بل لتوزيعه على الاعضاء حتى اذا لم يوزعه وترك الاعضاء تذوب جوعاً ونضوراً قامت كلها عليه واوقعت به . فعلى هذا النحو تحفظ الالفة بين الناس بأن يساعد الاغنياء الفقراء بأموالهم ويساعد هؤلاء اولئك مبتعدين عن دكات البطالة وحانات اللهو متشاغلين في امورهم فيصح لنا ان نقول حينئذٍ ما قاله احد الائمة العقلاء وهو ان معاهد الالفة الحقيقية انما هو الدين القويم وان النصراني الصحيح هو الفيلسوف والمقتصد الحكيم » اه

الرد على الاعتراض الثاني في تباين الحظوظ بين البشر

واما الاعتراض الثاني بتباين الحظوظ فالجواب عليه يوجب علينا ان نأتي اولاً على ذكر شيء من امور العناية الصمدانية ولست اظن ان بينكم من يشك في وجود هذه العناية وشمولها لهذه الموجودات باجمعها وهو يعرف ويعتقد ان الله تعالى هو الخالق لهذه الموجودات وانها لم توجد من نفسها وان بينه وبينها نسبة تستدعي منه حفظها والعناية بامرها على ان الصانع الحكيم لا يعنيه فقط إحداث عمل من صناعته بل يعنيه ايضاً الاهتمام ببقاء ذلك العمل وصيانته . واي مهندس عاقل يبني جسراً مثلاً ولا يعنى بامر بقائه ودوامه . واي ساعاتي لا يهمه دوران الساعة التي ركب ادواتها وهاكم النظام الغريب في مدار هذا الفلك الفسيح فانه اعظم دليل على

وجود العنـاية . فكيف استوت يا ترى هذه الكواكب العديدة المختلفة الاجرام كل هذه المدّات المديدة في مركزهـا دون تقلقل وكيف استمرّ دورانها كل هذه الاجيال الطوال دون اختلال ولا اعتلال وكيف لم تختلف قطّ ايّامها ولياليها عن ترتيبها منذ عهد ابداعها وكيف حُفظت هذه الموازنة فيها لولا العناية . وزد عليهِ ان هذه الكائنات عديدة ومختلفة ذات خصائص وطبائع متباينة فلا بدّ ان تكون مربوطة بنظام وترتيب وان كان هنالك نظام وترتيب لزم ان تكون بداءة وغاية ووسائط تؤدي الى الغاية وهذا كلهُ يستلزم وجود عناية لان سَوْق الاشياء الى غاياتها لا يتمّ بدون عناية مَن خلقها لتلك الغايةِ وهذا لا يتمّ بدون معرفة الماضي والحاضر واستدراك المستقبل ومَن ترى يعرف الماضي والحاضر والمستقبل غير الله

وما لنا وهذه الاستدلالات ونظام هذا الكون لا يتصوَّر قيامهُ بدون حكمة سامية وقدرة الهيَّة ونحن كلنـا مسيحيون بنعمة الله ونعتقد وجود عناية في الله بخلائقه كلها لانهُ هو الذي ابدعها وهو الذي يحفظها ويدبرها . وهذا الكتاب المقدّس فانهُ اهمّ تاريخ لاعمال العنـاية الالهيَّة حيث ابان لنا تصرُّفات العناية منـذ البداءة في حقّ آدم ونوح وابرهيم وموسى وداود وغيرهم كثيرين في جميع حركاتهم وسكناتهم بما بذلت لهم من الوسائل وقيَّضت لهم من التدابير العجيبة لا بوجه الاجمـال بل بالخصوص . فايُّ عاقـل يطالع تاريخ هؤلاء ولا يرى ظاهرًا ان هنالك عناية سماويَّة ساقت نوحًا الى عمل فلكٍ نجـا بهِ هو وعائلته من غائلة الطوفـان . وان تصرُّفات يوسف في ظهراني اخوته وفي حبسه وفي

قصر فرعون لم تكن من باب الخبطة والاتفاق . وان اعمال موسى في جانب فرعون وشعب اسرائيل لم تكن من وجه الاتفاق والصدفة بل كانت كلها مرتّبة ومنظمة ومنسوقة ترمي الى غايات مخصوصة واغراض معيّنة . وهذا الانجيل فانّهُ قد ابان لنا بعبارة صريحة عناية الله في جانب خلائقهِ كلها كاشراق الشمس وانزال المطر وكالطيور في غذائها وقوتها وطيرانها وهبوطها وكاعشاب الحقول في كسائها من الزهور الزهيّة اثوابًا لم يلبسها سليمان الحكيم في ريعان مجدهِ وعزّتهِ السنيَّة . وامّا في جانبنا نحن مخلوقاته الناطقة فان عنايتهُ فائقة ومتناهية بحيث أتت بما لم تأتِ بهِ امٌّ من الامهات من احصاء شعور رؤوسنا محافظةً علينا

يقول البعض انّنا اذا نظرنا الى تصرُّفات العناية وجدنا فيها احيانًا اعمالًا لا تخلو من المغامز والمعايب الغير الملائمة كرمي يوسف مثلًا في الجبّ والحبس وبيعه من اخوته والقاء موسى في الماء وهربهِ الى البريّة لرعاية غنم حميهِ الى غير ذلك من الاحداث التي على ما يظهر لا تُشعرنا بان عناية الله كانت ساهرةً على اولئك الرجال تدبّر امورهم بضبطٍ وتدقيق . وهكذا قل في الاحداث العمومية كالخطيئة الاصليَّة التي جلبت المضارّ على البشر وبروز الهرطقات في الكنيسة المقدّسة ونظائر ذلك فكيف تكون العناية والحالة هذه مستوفية كامل مقتضياتها من الدقة والضبط في تصرُّفاتها

اقول ان الجواب على هذا يدعونا الى استيضاح بعض قواعد عامّة وهي اولًا ان اجزاء الكون واطرافه باجمعها مترابطة متشابكة ببعضها حتى اظنّ أنك لا تقدر ان تعرف جزءًا منها دون غيره بل بالاحرى من دون ان

تعرف الكل . وبموجب هذه القاعدة متى رأيت حدثاً جللاً ورمت ان تحتكم فيهِ يلزمك قبلاً ان تعرف وقوع هذا الحدث في ايَّة حلقة من حلقات السلسلة المربوطة بها اطراف هذا الكون وان تعرف ما العلاقة بين حلقةٍ وحلقة اي ما لذلك الحدث من النسبة الى الحوادث الماضية والحاضرة والآتية . فان بعض الحوادث لا يتوصَّل الى معرفة حقائقها ولواحقها ومندرجاتها ومتعلقاتها الَّا بعد مرور اجيال فكيف يمكنك والحالة هذه ان تحكم في امر لست ترى منهُ الَّا شيئاً طفيفاً وقد تمرُّ الاجيال عليهِ ولا تزال اشياء منهُ غامضةً عليك . « عرفت شيئاً وقد فاتتك اشياء » . كما قال المعلم بسكال . قال القديس اغوسطينوس : ان قدرت ان تعلم كل شيء من هذا الوجود فاحتكم وسبّح بحمد ربّك واماً اذا لم تقدر ان تعلم الَّا اشياء طفيفة جدًّا فكيف تتجرأُ ان تحتكم في الكلّ والكلّ كبير وعظيم جدًّا » . وقال فم الذهب : « ان شئت ان تحكم حكماً قويماً في الامور فانتظر نهايتها فما قولك برجل ينسب الفلَّاح الى الجهل والغباوة لانهُ يراهُ يبذر بذارهُ في الارض فيظن انهُ يتلفهُ بذلك اليس هو احقّ منهُ بالملامة والتقريع اذ لا ينتظر ايَّام الحصاد فيرى السنابل حوامل والحبة الواحدة توفَّرت فصارت ثلاثين وستين ومئة فكذلك لايمكنك ان تدرك اعمال الخالق وتحكم فيها لقصر فكرك فانتظر النهاية ينجلِ لك كلُّ شيء »

وبناءً عليهِ لا يسوغ لنا ان ندين العناية العلويَّة ولا ان نعيب تصرفاتها فيما لو تسامحت احيانا بوقوع ما لا نراهُ نحن ملائماً كمعصية آدم مثلاً فانَّنا اذا لم نراعِ كل ما يلزم مراعاتهُ ونعتبر كل ما يلزم اعتبارهُ من كل جهة

ضللنا في الحكم واخطأنا . ولكن متى لاحظنا جيداً ان الله قد انعم على الانسان باجلّ هبة واشرف نعمة وهي الحرّية الّا ان الانسان تصرّف بحريته واساء في تصرفهِ واما الله جلّت حكمتهُ فاستخرج من هذا الشرّ خيراً اسنى ومجداً لاسمهِ وذلك بتجسد ابنهِ يسوع المسيح الذي رفع الطبيعة البشرية الى اشرف مكانة وجعلها عن يمين الله في السماء وصيّرنا نحن اولاد آدم ورثةً معهُ في ملك مجدهِ ومجد ابادٍ مجداً لا يدانيهُ مجد فكان الخير اعظم بكثير من شرّ تلك المعصية ومن ثمّة كان حكمنا على عنايتهِ تعالى غير مصيب

تقول ولماذا اعطى الله الانسان هذه الحرّية وتركهُ وشأنهُ يعمل ما يشاء اجبتُ ان الله انما قصد في اعطائهِ الحرّية للانسان امرين خير الانسان ومجد اسمهِ عزّ وجلّ فالانسان الذي لا يحسن التصرّف بحرّيتهِ يكون هو الذي اختار خسارة خيره وجلب لنفسهِ الضرر بهواه ورضاهُ واما الله جلّ وعلا فانهُ لا يدع مجد اسمهِ ان يلمّ به اذى اذ يجري عند ذلك في جانب هذا الانسان مقتضيات العدل ويستبقي شرفه سالماً غير ممسوس . وعليهِ فالشرور التي نراها نحن لقصر عقلنا غير ملائمة في حق العناية الصمدانيّة لا تكون كذلك في نفسها عند الله اذ لا لوم على العناية ولا ذنب والله يسامي تدبيرهِ بحصل الغاية المرتب لها هذا الوجود من كل الاحوال ولا يكون خاسراً الّا الانسان الذي ما احبّ ان يتصرّف بحرّيتهِ تصرّفاً حسناً بل اختار برضاه ان يخالف النظام الموضوع لهُ من ترتيب العناية

واما قولك «ولماذا ترك الله الانسان لحرّيتهِ يعمل كل ما يشاء» فالجواب عليه هو ان الله تعالت حكمتهُ قد احبّ ان يكون الانسان انساناً

[illegible]

تكريم صحيح حقيقي لانهُ صادر عن حريَّة ورضى واختيار فهو والحالة هذه اشرف وافضل بما لا يقاس لصدورهِ من خليقة تريد ان تكرّم خالقها وان تحبهُ وان تعبدهُ برضاها وحريّتها واختيارها وهذا الفرق ظاهر لا يحتاج تبياناً ومن انكرهُ كان كمن لا يفرق ما يلقاهُ من اميال بنيه عمَّا يلقاهُ من اميال مواشيه ! قال المعلّم الملكيّ: « اذا زالت الحريَّة من الانسان زال معها منَّا الاختيار وزال الاغراء والتحريض والامر والنهي والاقتصاص

هذا ولا تقوم الحريَّة في الاقتدار على عمل كل شيءٍ من خير او شرّ ومليح او قبيح بلا قيد ولا حدّ فان هذه الحريّة المطلقة العنان التي لا تقيد في اعمالها ليست هي الحريَّة الصحيحة المنظَّمة لانَّ قوام الحريَّة انما هو في اقتدارها على عمل ما لا ينهى عنهُ العقل وترك ما لا يحسن عملهُ اي في اختيار ما ترسمهُ الشريعة لاننا لو اطلقنا للحريَّة العنان لعمل كل شيءٍ خارجاً عن الشريعة وفي دائرة الشريعة لاقينا من وراء ذلك ما لا نريد بل لاقينا المحال . وذلك لو ابحنا لزيد مثلاً ان يعمل كل شيءٍ لزمنا ان نبيح لعمرٍو مثلهُ عمل كل شيءٍ وهذا محال اذ يعود عمرو ضدّاً لزيد لا بل يعود الباقون كلهم ضدّاً لهُ اذ نكون ابحنا لهُ كل شيء ولهم ابحنا كل شيء فكيف التوفيق بينهم والحالة هذه أليس هذا التوفيق من المحال

فالشريعة اذاً هي صوان الحريَّة وحماها لان الذي يعمل بحسب الشريعة لا يقدر ان يمسَّه احد فيمنعهُ عن عمله او يجبرهُ عليهِ لان الشريعة ملجأهُ وحماه . قال شيشرون قولاً بديعاً في هذا الخصوص: « انَّا اذا ما تقيَّدنا بالشريعة صرنا احراراً » . فالحريّة اذاً لا تقوم باطلاق العنان لها في

اعمالها بل في اختيارها هذا العمل او ذاك اي في امكانها ان تعمل ما يُراد عمله . فلو ترك الله الانسان وشأنه في استعمال حريته في كل شيء لما تبقى لهُ الى ملامته سبيل وكان مثله مثل ربّ بيت ترك عبيده يعملون ما يشاؤون فعملوا ما لا يريد فاذا لامهم عليهِ وهو لم يضع لهم دستوراً يمشون عليهِ في خدمتهِ كان لومهُ لهم في غير محلّهِ لا بل كان ظالماً تعالى الله عن ذلك

السرّ في تباين الحظوظ

فلنأتِ الآن بالجواب على السؤال الاخير بخصوص تباين الحظوظ بين الناس ومداره امران (اولهما) تباين المواهب والحالات (ثانيهما) اشتراك خيور الدنيا بين الاخيار والاشرار

وقد طالما طرح هذا السؤال في الاعصر الخوالي وكثيراً ما نرى الناس يكررونهُ وهو لماذا نرى الاخيار في سوء حال والاشرار في حسن حال وعلامَ اولئك الفضلاء العقلاء يشقون وهؤلاء الجهلة السفهاء ينعمون ان الجواب على تباين المواهب والحالات بين الناس لا يخفى على من طالع مقالتنا السابقة في الالفة « (راجع المشرق ٥ : ٦٥٤) حيث اثبتنا ان العناية الالهيَّة قد وزَّعت مواهبها بين البشر ضناً منها على حفظ الالفة ليكون الواحد مفتقراً الى الآخر كما وزعت في الارضين غلاتها لتحصل المواصلات والمعاملات وكلها وسائل للالفة وابرام حبالها

امَّا الآن فعلينا ان نبحث بحثاً مدققاً في تباين الحظوظ بين الناس وكثيراً ما بحث عنهُ قبلنا اعلام العلماء الائمة لانهُ من المشكلات المعضلات اذ نعلم حقيقةً من جهةٍ ان عناية الله شاملة الجميع وانهُ يحب الابرار ويبغض الاشرار لانهُ صالح وقدوس فمن الواجب اللازب ان يوفق الابرار

الى كل خير و يتعقَّب الاشرار بكل ضير . الَّا انا من جهة أُخرى نجد الأمر احيانًا كثيرة على خلاف ذلك فتأخذنا الدهشة والحيرة حينئذٍ من ماجريات العناية على هذه الصورة . وهذه خيور الدنيا تنحصر في اربع صحَّة وثروة ووجاهة وحياة فاذا نظرنا الى الصحَّة مثلًا نرى ذيالك اللص الشرير مالكًا منها جانبًا عظيمًا اذ نجدهُ صحيح الجسم قوي البنية ونرى هذا العابد المتهجد ضعيفًا نحيفًا :

كهلال الشكّ لولا انهُ   أنَّ عيني عينهُ لم تتأي

وهكذا الثروة فان ذاك الجاهل الكافر شبعان متموّل وهذا الفاضل العاقل جوعان متسوّل . وكذلك الرفعة والوجاهة فانك ترى ذاك المعوّج الذي لايعرف الاستقامة والعدل سائدًا متوجهًا يقول ويطول وهذا المستقيم المنصف مرفوت معزول لا يطلب صعود درجة من الرفعة والمناصب حتى تتلقاهُ عقبات ومصاعب . وهكذا الامر من جهة الحياة فانك تجد ذلك القاهر الغادر يعيش عيشًا رغيدًا مديدًا وهو يميت كثيرين بظلمهِ وغدرهِ وترى ذاك المحسن الكثير المبرَّات الذي احيا كثيرين بحسناتهِ وصدقاتهِ تغتالهُ المنيَّة قبل ميقاتهِ وراثيهِ ينشد حولهُ :

ولكنَّ المصيبة فقد حرّ   يموت لموتهِ خلقٌ كثيرُ

هذا ثمَّ انَّا في طورٍ آخر نجد العكس في كل ما ذُكر فاننا نرى بعض الاشرار يقصفهم الله في ريعان عمرهم وبعضهم يصبحون لا يملكون شروى نقير بعد ما كانوا من اصحاب الثروات الطائلة . وآخرين منهم استولت عليهم مواكب الامراض والعاهات حتى صاروا عبرةً لمن اعتبر . وكذلك الاخيار فاننا نرى منهم اصحَّاء متعافين واغنياء متموّلين واصحاب وجاهة ومكانة . ومنهم من

يعيشون عمراً طويلًا حتى يشبعوا من السنين وهم اصحاب ثروة وسطوة ورفعة ومقدرة كابرهيم وايوب وداود وغيرهم . فكيف السبيل والحالة ما ذكرنا الى معرفة دخيلة الامر من تصرفات العناية الالهيَّة في هذه الخيور وتوزيعها بين الاخيار والاشرار بصورة ملتبسة غامضة لا بل فيها من الملابسة والمغالطة ما لا يخفى اذ ليس لها قاعدة ولا قياس نبني عليهِ حكماً مطرداً

فلنذهب والحالة هذه الى المعلّم السماوي الذي انار العالم كلهُ بنور تعليمهِ عسانا نجد عندهُ فتوى أو قولاً فصلاً لهذهِ المشاكل . فانهُ تعالى اسمهُ حضر عندهُ ذات يوم (لوقا ١٣) قوم يخبرونهُ بالذين سقط عليهم البرج في سلوام وابادهم وكانوا ثمانية عشر . ثم اتى اليهِ قومٌ غيرهم اخبروهُ عن الذين قتلهم بيلاطوس من اهل الجليل وخلط دماءهم بذبائحهم وكان اولئك المخبرون يظنُّون ان تلك البلايا حلَّت بهؤلاء واولئك لفرط شرّهم فقال لهم السيد المسيح : « أتظنون ان هؤلاء واولئك اكثر شراً واثماً من جميع الساكنين في اورشليم كلّا فان لم تتوبوا انتم فكذلك تهلكون » . هذا ما قالهُ معلمنا الالهي بخصوص البلايا واما توزيع النعم فقال فيهِ (لوقا ٤ : ٢٧) : « برصٌ كثيرون كانوا في عهد اليشاع النبي فلم يطهر الّا واحد منهم وارامل كثيرات كنَّ في ايام إيليَّا النبي فما انتفع منهُ الّا واحدة منهنَّ من صرفت صيدا »

ثم انا نرى معلمنا هذا السماوي يوضح لنا في محال أُخرى ان بعض البلايا تحلُّ بالناس عن ذنب وبعضها عن غير ذنب . فان المقعد الذي شفاهُ

هو له المجد قال له (يوحنا ٥ : ١٤) : « لا تعد تخطئ لئلا يصيبك اشر » ، والاعمى شفاه وسأله رسله (يوحنا ٩ : ٢) عن سبب عماه ان كان منه او من أبويه لذنوب أتوها فقال لهم : « لا هو ولا ابواه اذنبوا ولكن ليتمجد الله » اذ عمل منه اعجوبة فاستحقت له الشكر والتمجيد

فوالحالة هذه كيف يستقيم لنا حكم في تصرفات العناية الالهية سواء كان في توزيع الخيور او في انزال الشرور الا بان نقول ان هذه البلايا وهذه الخيرات تصيب الابرار والاشرار معاً لغايات سامية يقصدها تعالى . وان سألت عن هذه الغايات اجابك القديس اغوسطينوس بدقة عند كلامه عن الحادثين المذكورين آنفاً فقال : « ان الله لا يسمح في هذه الدنيا بجميع الاخيار ان تلم بهم المصائب ولا بجميع الاشرار ان يكونوا ناعمي البال خالين من البلايا ولا يأمر بهؤلاء ان يتعذبوا ولا باولئك ان يتنعموا ، على انه متى تنعم جميع الاخيار تهافت الناس على عبادة الله طمعاً في نعيم الدنيا لا على رجاء الخيرات الابدية ولو تسامح بان يكون جميع الاخيار متعذبين متضايقين في هذه الدنيا لأدى ذلك الى شكوك وتقاويل اذ يقال : « هوذا حب التقوى يدلي الى حب البلوى » . وكذلك لم يأمر بجميع الاشرار ان يعذبوا بهذه الدنيا فراراً من اقبال الناس على حب الفضيلة عن خوف وفزع ولا بان يتنعم كل الاشرار هنا حذراً من اعتبار الناس ان عمل السيئات مأتى للحسنات لكن جاءت حكمته ترك تصرفات عنايته الالهية تتراوح بين الاخيار والاشرار في البلايا والمصائب كما تركها تتراوح بينهم ايضاً في النعم والمواهب . فلا يفرح الناس بأجل ذلك الشقي اعتقاداً منهم بان العدل انزل به المنايا

اقتصاصاً منهُ حتى يحزنوا لرؤيتهم هذا التقي يشربُ الكأس نفسها فتلتبس عليهم المسألة ولا يعرفون من طرفيها شيئًا وكيدًا الَّا انَّهم لا يرتابون في ان الله يحب اولياءهُ الابرار وقد اعدَّ اهم نعيم الملكوت جزاء كافيًا عن اتعابهم واحتمالهم في هذه الدنيا لاهبةً منهُ واحسانًا اذ لا بُدَّ لهم من احتمال البلايا والنوائب» اه

ولمَّا سئل القديس يوحنَّا فم الذهب لماذا الاخيار في سوء حال والاشرار في حسن حال اجاب بقولهِ: «ليس الامر كذلك على وجه الاطلاق لان بعض الاشرار يبتليهم الله وبعضهم خالون من البلايا وكذلك الاخيار فان بعضهم يتنعمون وبعضهم يشقون. وان سألت عن السبب قلتهُ لك وهو ان الله قد يتغاضى في هذه الدنيا عن بعض الاشرار ولا يتعقبهم لتعلم ان في الآخرة دينونة. واما تعقبهُ للبعض الآخر منهم هنا فلتنبيه الغافلين الى التوبة والصلاح ومثلهُ توفيقهُ لبعض الاخيار احيانًا فانهُ لتحبيب الفضيلة الى الناس واما عدم توفيقهِ للبعض الآخر من الاخيار فلتعلم ان عندهُ غير هذه الدنيا وهنالك يجازي الجميع على اعمالهم الجزاء التام المتوجب لهم» اه. قال المعلم روسّو: لو لم يكن عندنا بينة على عدم ميتوتة النفس الَّا مذلة البار وعزَّة المنافق في هذه الدنيا لكفى بذلك دليلًا لنا على عدم الريب فيها فان الخلل العظيم الحاصل في النظام العام يدعوني الى البحث عن حقيقتهِ فاقول بعدئذٍ لنفسي لا ينتهي كل شيء معي عند نهاية حياتي من هذه الدنيا اذ انهُ عند الموت يصير تنظيم كل شيء». ثم رجع فم الذهب وقال: «لا يخلو بارٌّ من شرٍ كما لا يخلو شريرٌ من برٍّ فلو

ان الله عاجل الخطأة بالعقاب لباد جنس البشر لكنهُ قد يعاقب بعضهم هنا اقتيادًا لهم الى التوبة فان لم يتوبوا عاقبهم في الآخرة ايضًا وبعضهم لا يستحسن عقابهم هنا بل مع الشياطين في الآخرة وذلك لفرط فجورهم وشرورهم واما اذا استعمل مع بعض الاشرار المكابرين حلمهُ ورأفتهُ فذلك لانهُ تعالى ما احبّ ان يحرمهم من الخيرات الحاضرة ولو انهم احبوا ان يحرموا انفسهم من خيرات الآخرة » . ثم ختم كلامهُ احسن ختام بان قال : « انهُ لا يليق بنا قطعًا ان نسأل هذا السؤال وهو لماذا الاخيار في شقاء والاشرار في رخاء انما قلتُ ذلك من بعد ان اعلمنا الله بملك النعيم العظيم وعذاب الجحيم الاليم » اه

لقد تبين لنا يا معشر الادباء الكرام ان مسألة الحظوظ في هذه الدنيا من اسرار العناية الازلية لا تدركها مداركنا البشرية وكم من اسرار في الطبيعة لم نتوصل الى ادراكها فلا يهمنا اذًا ان نبحث بعد في هذه المسألة بل يكفينا اعتبار امرين : (اولهما) ان الله يحبنا كثيرًا لانهُ هو الذي خلقنا كرمًا منهُ ومنةً وهو مهتمٌ بنا ولا اهتمام الامهات باولادهنَّ وهو تعالى قد احصى شعور رؤوسنا دلالة على مبالغتهِ في الاهتمام بنا وما من والدة فعلت كذلك بولدها . فلو انهُ تعالى جودهُ رأى ان الحال التي ترتاح اليها انت ايها اللبيب من غنى وصحة او طول حياة او رفعة مقام الى غير ذلك توافق خير نفسك لما ضنَّ عليك بها وهو قد بذل ابنهُ الوحيد لاجلك . . . (ثانيهما) ان الله عادل يجازي كل واحد حسب اعمالهِ لكن الجزاء التام لا يكون الَّا في الآخرة . فانظر اذًا الى نفسك وما استحقت باعمالها فان

طلبت المكافأة في هذه الدنيا عن حسناتك فلمَّ لا تطلبها عن سيئاتك وان قلت بعد لماذا انا غير موفق وغيري موفق حال كوني افضل منهُ واعقل واكفأ ؟ قلتُ لك : وهذه المواهب التي تدّعيها من فضل وعقل وكفاءة انمَّا هي من الله وهي فيك وليست فيهِ . ان الله سوف يجازيك بحسب استحقاقك في مكان المجازاة وزمانها وذلك في السماء بعد هذه الحياة فان طلبت جزاءك في الحاضرة هنا عاكست نظام الله وكان الجزاء غير وافٍ باستحقاقك ان خيرًا وان شرًّا . هذا فضلًا عن كون هذه الحياة هي زمن الجهاد المرتّب على الجميع فكيف بك تطلب الاكليل قبل نهاية جهادك . وهذه امك الكنيسة المقدّسة التي اقامها السيد المسيح وقد شراها بدمهِ الكريم وما زال معها وفيها مقيم فانّها قد لاقت وما زالت تلاقي من ضروب الاضطهاد وعواصف الكفر وطغيان الفساد ما لا يخفى على من يطالعون تاريخها نظيرك وانت احد اولادها أفما ينبغي ان تتشبه بامك في احتمال شيءٍ من المكاره ولو بما كسة الدهر لك لتصير اهلًا لنوال ذياك المجد العظيم في جنّات عدن « وجنّات عدن بالمكاره حُفت » . وهذا معلمنا الالهي الذي نهج لنا الطريق بعلمه وتعليمه أما يلزمك ان تمشي على آثاره وحسب التلميذ ان يكون مثل معلمهِ . وهؤلاء رسله وانصاره الذين ساروا على خطواتهِ قدامك وهؤلاء المسيحيون الحقيقيون الذين عاشوا في الايمان والرجاء لم يكن يهمهم شيء من احوال الدنيا بل كانوا قاصرين كل اجتهادهم واهتمامهم على نوال الخيرات المقبلة فما شأنك وهؤلاء كلهم ؟

فترى ممَّا سبق انَّ تباين الحظوظ في الدنيا من جملة الامور الغامضة

هذا العالم كيف ما جرت الرياح طالبين الوصول الى تلك الخيرات المعدَّة للاخيار وحدهم والنجاة من الويلات المعدة للاشرار وحدهم وذلك في العالم الآتي

خطاب في السلطة الحاكمة

تلاه في غرفة القراءة المارونية في حفلة عيد الجلوس اوّل ايلول سنة ١٩٠٢

لقد طالما بحث الائمة والفلاسفة من ابعد عهد عن مصدر السلطة الحاكمة وذهبوا في بحثهم مذاهب . فالبعض على انَّها من انتخاب الشعب والبعض الآخر على انها من مصدر اعلى وهو الاصح لا بل هو الصحيح . قال ارسطاطاليس : ان مصدرها الطبيعة يعني ان الاب لمَّا تكاثرت اولاده واحفاده وبينهم من وشائج الدم قيود مكينة ومن اواصر القرابة روابط شديدة لم تدعهم ينفكون متقيدين بحكم ولايته عليهم وتدبيره لهم اه . قال شيشرون : ان السلطة المدنية مثال السلطة الوالدية وان هي الا تمديدها او تماديها فمصدرها عنها دون شك اه . وكما وُلدنا اولاداً غير مستقلين كذلك وجدنا رعايا غير مستقلين وكما ان الولد يحتاج الى من يربيهِ ويحافظ عليهِ كذلك لدى وجوده في حضن الالفة يحتاج الى من يسوسه ويحميه وكما وجدنا في مهود الولادة متواخين ومتقاربين من غير مخالفة بيننا ولا معاهدة كذلك وجدنا في محاجر الالفة خاضعين منقادين ونحن ملتفون ومؤتلفون والله هو الذي اوجد هاتين السلطتين الوالدية والالفية عنايةً منه بالخير العام وعلى هذا المبدأ بُنيتْ معاهد ولاية اولئك الذين كانوا في اوائل الاجيال يدعون آباء وقد تبقَّت لهم مآثر وآثار بين جميع الامم والشعوب

ولم يكن وقتئذٍ لعوامل الانتخاب ناصبٌ في امر نصبهم ولا رافع في رفعة مناصبهم اي لم يكن لهم ضلع في أمر ولاية آبائهم . فولاية الفريقين هي من احكام الطبيعة اي من ترتيب الخالق الذي برأ هذه الخلائق وغرس فيها من طبعها ما يتكفَّل بخير حياتها وراحتها

وزاد بعضهم هذا التعليل بياناً فقال . « ولمَّا كان مصدر الالفة من شريعة الطبيعة وكانت السلطة من مقتضياتها الضروريَّة كان مصدر السلطة ايضاً من شريعة الطبيعة فليست اذن صادرة عن ارادة بشريَّة بل هي حقٌّ بحكم الشريعة الطبيعيَّة ملازم لحالة الالفة فلا يتعلق برضى اصحاب الالفة المتآلفين ولكن الطبيعة التي اوجدت الالفة هي أولت السلطة لأنها الواسطة الضروريَّة لحفظ هيئة الالفة ونظامها . وبعبارة مختصرة نقول : ان الانسان رُتِّب للسعادة والوسيلة الى السعادة هي الالفة والوسيلة الى رعاية الالفة انما هي الولاية وما هذه الَّا السلطة الحاكمة » اه

يقول المعترضون ان الحاكم قد يقوم بانتخاب الشعب فولايتهُ اذن من الشعب كانتخابه . الجواب ان النتيجة غير ناهضة لان هذه الولاية هي من حقوق المنصب لا من متعلقات الانتخاب الذي هو من متعلّقات الشعب . على ان الولاية والانتخاب ليسا دائماً من مصدر واحد . وهذه الولاية الوالديَّة فانها ليست من رضى الاولاد ولا العيلة وان يكن الرجل لا يصير ابا عيلة الَّا برضى زوجته لكن ولايتهُ الوالديَّة على عيلته ليست من رضاها بل هي من الطبيعة التي اولتهُ هذه الولاية الضرورية لوظيفته . كذلك قل في من انتُخب من الشعب حاكماً عليهم فولايته لا تكون من الشعب

بل هي من حقوق منصبهِ الذي يستلزم هذه الولاية حفظاً لنظام الالفة على انهُ لو كان الامر كما يزعمون وبئس مـا يزعمون من ان مصدر الولاية هو من رضى الشعب وانتخاباتهِ لم تكن هذه الولاية لتثبت في صاحبها الَّا مقدار ما يثبت الجمهور على فكر واحد وقول واحد ! ! !

يكفي ما اوردنا من اقوال الفلاسفة فلنأتِ الآن الى الكتاب المقدَّس فان فيهِ البينات الساطعة والحجج القاطعة لاثبات مبحثنا هذا قال الله تعالى : بي تتملَّك الملوك (امثال ٨ : ١٥) ٠ وقال دانيـال (ص ٢) : ليكن اسم الله مباركاً من الازل الى الابد لان لهُ الحكمة والجبروت وهو يغيّر الاوقات والازمنة ويعزل ملوكاً وينصب ملوكاً ٠ وقـال بولس الرسول روميـة (١٣ : ١) لتخضع كل نفس للسلطات السامية لان ليس سلطة الَّا من الله والسلطات الكائنة هي مرتبة من الله

وما احسن ما قالهُ القديس اغوسطينوس بهذا الخصوص : « نحن لا نقول بان لاحد غير الله حقاً لإيلاء المملكة والملك فهو في الآخرة يولي الابرار وحدهم ملك السماء واماَّ هنا فانهُ يولي الملك من يشاء من الابرار كان او من الأشرار لكنهُ لا يشاء الَّا العدل فالذي أعطى الحكم لماريوس هو عينه أعطاهُ لقيصر ٠ والذي سلَّط اغوسطوس هو الذي سلَّط نيرون ٠ والذي ولَّى ڤسپسيـانوس الكبير وابنه ڤسپسيـانوس (طيطس) الصغير الملكين الجديرين بكل محبَّة هو الذي ولَّى دوميطيانوس الظالم ٠ وحتى لا نأتي على ذكر الجميع نقول ان الذي ملَّك قسطنطين هو الذي ملَّك يوليانوس العاصي» اه ٠ فتبيَّن من ذلك جلياًّ ان الشعب لم يكن قطعاً مصدر السلطات السامية

وان كان هو واسطة عقدها بانتخاباته احياناً الّا ان حكمهُ في ذلك حكم الكرادلة في انتخاب البابا او حكم الرعايا في انتخاب اسقف او خوري فان انتخابهم لا يوتي احداً من هؤلاء السلطة المقارنة لدرجته ومنصبه . فالسلطات اذن مصدرها الله لا رضى الناس وهذا عن حكمة سامية من الله جلّ جلالهُ لانهُ راعى في ذلك تأييد جانب السلطات ورعاية حقوقها بحيث لا تمسّها اغراض الرعايا واهواؤها التي لا تستقرّ على حالٍ واحد

ولكن ما لنا وهذه البينات وعندنا الآية الكريمة وهي قول المعلم الالهي سيدنا يسوع المسيح : اعطوا قيصر ما هو لقيصر . وكان قوله هذا فتوى على سؤال طرحهُ عليه بعض اليهود الذين كانوا يتوهمون انهُ لا يلزمهم الطاعة للملوك من غير امتهم فازال الرب منهم هذا الوهم ودفعهُ بثلث حجج : (اولها) بانهُ اراهم صورة الملك المرسومة على اصناف العملة المتداولة بين ايديهم اذ طلب منهم ديناراً وسألهم لمن هي الصورة المرسومة عليه فقالوا : لقيصر . فلو لم يكن قيصر هو الملك عليهم لما ساغ لهُ ان يرسم صورتهُ على النقود المتداولة في المملكة . الحجة (الثانية) بقوله « اعطوا قيصر ما هو لقيصر واعطوا الله ما هو لله » يريد بذلك تذكيرهم بان الطاعة واجبة لقيصر وغيره من الملوك كما هي واجبة لله لان سلطة قيصر وامثال قيصر هي من الله فلا مناص لهم من عدم الطاعة والخضوع . الحجة (الثالثة) هي عمليتهُ فان اليهود المنوه بهم اعلاه كانوا واقفين لهُ وللتلاميذه في المرصاد ليعرفوا ان كانوا ينقادون لاوامر قيصر ويقدّمون الاموال المرتبة لهُ على رعاياهُ . فالسيد المسيح قد عمل كما علهم في اعطاء قيصر ما هو

لقيصر ولذلك أمر بطرس رسوله ان يذهب الى البحر وامر حوتاً من حيتان البحر ان يوافيه باستير فاخذه بطرس ورجع فدفعه عن معلمه وعن نفسه لجباة الحكومة . فهذا تعليم المسيح وهذا عمله وعنه اخذ رسله وعلماء الكنيسة ما قالوه بهذا الشان كما قدمنا

وخلاصة المقال ان ديانتنا الالهية قد اوجبت علينا للحكومة واجبات ثلثاً : طاعتها . وتأدية مطاليبها . ورعاية جانبها . وذلك لاوجه ثلثة : كون سلطتها من الله . كونها محامية لنا . كونها مصدر شرفنا وسعادتنا . وهذه كلها ضمنها الرسول في عبارته القائلة « فلتخضع كل نفس للسلطة اذ لا سلطة الا من الله » يريد انه لا يقدر احد من الناس ايًّا كان ان يتذر عن عدم الطاعة للحكومة لانه لا يقدر ان يتذر عن عدم الطاعة لله جلّ جلاله لان السلطة المؤتاة للحكومة هي من الله . ومن ثمة لا يكون الخضوع للانسان بل لله فلا يحط خضوعه هذا بشيء من شرفه ولا ينقص من حريته اذ لا يكون خاضعاً لانسان مثله لكن لسلطة الله المعطاة لذلك الانسان . وزاد قوله هذا بان قال : « ومن يقاوم السلطان فقد قاوم الله » اي فليكن الذي لا يطيع السلطان على حذر لانه ان نجا من بأس غضب السلطان لا ينجو من باس غضب الله . ليت شعري لو اعتبر ذلك المقاومون لكفاهم زجراً عن غرورهم وردعاً عن شرورهم لان حظهم انما يكون مع اولئك الذين تمردوا من الملائكة على العزة الصمدانية فاهبطتهم من الاعالي العلوية وزجتهم في المواقيد الابدية التي اعدتها ايضاً للمتمردين نظيرهم على سلطتها في البشر

الواجب الثاني: علينا للحكومة تأدية مطاليبها من أموال أعناق وارزاق وما اشبه . فالحكومة تحافظ على حياتنا واموالنا وترعى العدل والحق بيننا والملك هو حارس المملكة وحفيظها وملجأها وحماها وقائدها ومديرها فان اصابها من آفات الدهر مصاب صدّه وان طرقها من اعاديها طارق ردّه . ومن لنا في الملمّات غير الحكومات وهل لنا نصير من مظالم الايام سواها وهل تعرف الرعايا غيرها اما واباها . وهذه حوادث الزلازل وهذه مهالك الاوبئة كالطاعون والهواء الاصفر وهذه ضربات الجوع والجدب مَن رأينا في درئها وانقاذ الناس من مخاليبها سوى الحكومات . فمن ثم يكون ما يترتب لها علينا من المطاليب ديناً واجب الوفاء وفرضاً لازم القضاء يلزم ان نؤديه عن طيبة نفس مع الشكر . وبه قال الرسول « ولهذا تؤدون الجزية »

اما الواجب الثالث علينا للحكومة فهو رعاية جانبها اي بذل كل ما لنا وعندنا في سبيل الدولة ورعاية شأنها والذب عن حوضها كأننا كلنا جنود مجندة لخدمتها وان تكون خدمتنا لها صحيحة عن محبّة واعتبار لا بالظاهر فقط بل بالباطن ايضاً وبه قال الرسول : « ولذلك يلزمنا ان نخضع ليس من اجل الخوف فقط بل من اجل الضمير » وينالنا بمقابلة خدماتنا هذه من جانب الحكومة الشرف والرفعة بما تنعم علينا من المناصب والوسامات والرتب فهذه مصادر شرفنا ورفعة شأننا وحقها ان تكون مجازاة لاعمالنا التي هي تستحق هذا الالتفات وعند ذلك يكون الشرف الصحيح

انهُ ليظهر لي من ملامح وجوهكم ايها الادباء الكرام انكم قد استحسنتم

ما جئنا به في هذه العجالة لجهة السلطة المدنية وما لها من المقدرة والمكانة والرفعة وكل ذلك من المولى جلّ جلالهُ فانهُ هو الذي قد بنى معاليها على دعائم الشريعة الطبيعية الأزلية وجعل مصدرها من جانب عرشهِ السامي لانهُ قد أوجد النَّاس للالفة ونظام الالفة لا يقوم بدون سلطة . فمن ثمَّ رأى بحكمتهِ أن تكون هذه السلطة من نفس سلطتهِ معزَّزةً مؤيدةً لا يستطيع البشر سبيلاً الى مسها من جهة ولذلك قال : « بي تتملَّك الملوك » و« لا سلطة الَّا من الله »

ألا انهُ يبدو لنا ايها الاحبَّة هنا اعتباران هما من الاهميَّة على جانب : (الأوَّل) . يلاحظ الديانة وشأنها في حق السلطة (والثاني) ينظر في ماجريات الكبرياء البشريَّة في جانب السلطة . فالديانة قد عظَّمت السلطة كثيراً ورفعت قدرها ورعت جانبها وعزتهُ بكل ما يمكن . وبعكس ذلك الكبرياء البشريه فانهُ يثقل عليها اداء الطاعة والخضوع ولا تحبّ الّا الاستقلال والانتقاد ولا تنقاد للسلطة الّا رغماً وعنوة . ولنخض في سرّ هذين الاعتبارين فنقول : ان الديانة ترعى جانب السلطة لانها شقيقتها وكلتاهما اشتقتا من مصدر واحد لكن الديانة وجدت في هذا الوجود قبل لانها وُجدت حين وجد آدم الانسان الاول فلم يكن سواهُ يعرف الله ويحبهُ ويكرمهُ . ثم وجدت حواء فتكونت الالفة معها ولكن لم يكن حينئذٍ مجال لمجالي السلطة ثم ولد آدم وحواء اولاداً فازهرت الالفة ومعها برزت السلطة وكانت هذه السلطة اولاً منضوية في ظلال الابوَّة اذ كانت العيلة صغيرة وهي لمَّا تكاثرت وصارت قبيلة بل قبائل صارت تلك الابوة حكومة

والسلطة الوالدية او الرئيسية صارت ملكية حاكمة كما قدمنا . ولمّا كان الله هو موضوع الديانة ومصدرها ومرجعها الوحيد كانت الديانة هي المحافظة اتمّ المحافظة على السلطة التي هي من الله وكلتاهما اي الديانة والسلطة هما من مبدأ واحد وهو الله وغايتهما واحدة وهي اسعاد البشر بالسعادة التي ترتبوا لها من الله . فهما بمنزلة يدين للجسم الادبي الانساني تتعاونان وتتنافسان في خدمته ورعاية مصالحه ولمّا كان الانسان مركبًا من نفس وجسد ومرتبًا للالفة من اصل طبعه وكان مصدرهُ الله وغايتهُ الله تحتّم ان تكون فيهِ الديانة والسلطة رعاية لحقوق المولى وحقوق العباد فلم يوجد شعب من دون ديانة ولا وجدت امّة من غير سلطة . وعليهِ فالديانة قد امرت الناس بقضاء الحقوق التي عليهم للسلطة من اداء الطاعة ومال الاعناق والارزاق والاحترام لشأنها واجتناب الشرّ وتهديد اهل الشرورة بعقوبة الله وعمل الصلاح فهذه كلها ذكرها الرسول في عبارته مفصلة

فيا حبذا لو ائتمر الناس باوامر الديانة هذه فانهم لو فعلوا لصار الاستغناء عن الاستعانة بالقوات لاستحصال الاموال الاميرية ومنع الشرور واستتباب السكينة وعمل الصلاح وتوطيد اركان المهابة والطاعة . ولمّا كان حبُّ الكبرياء يحمل الانسان على عدم الانقياد والخضوع لاوامر من كان نظيره من الناس اوضحت لهُ الديانة ان خضوعهُ لصاحب السلطة انما هو خضوع حسي للمولى لان السلطة هي من الله وان مقاومته للسلطان انما هي مقاومته لله وانه اذا نجا هنا من بطش السلطان لا ينجو هنالك من بطش الله الديان . فمحاماة الديانة هذه عن الملوك هي أعظم محاماة واين

صولة عساكرهم من صولة ربّ السماوات والارض الذي بصوته يزلزل الارض ويدكُّ الجبال ويقض الصواعق وهو الذي قال كوني فكانت وهو الذي يطويها كالرداء لو شاء

ومن ثمّة رأينا في كل الاجيال اصحاب السلطة العالية العاقلين المتدينين يحافظون كل المحافظة على الديانة ورعاية حقوقها في رعاياهم علماً منهم بان الديانة متى كانت راسخة القدم في قلوب الناس ساقتهم الى الطاعة وحب السلامة واجتناب المعاصي وان لها قوة وسطوة على النفوس في الجهر والسرّ والداخل والخارج لا تعادلها القوّات البشرية . هذا فضلاً عن كون الانسان اذا لم يكن متشبثاً باذيال الديانة لم يكن عضواً صالحاً للالفة ولا عبداً اميناً لمولاهُ ولا رجلاً نافعاً للمملكة واي فضيلة صحيحة توجد في من لا يعرف الديانة او بالحري لا يعرف الله

وها ان جميع الفلاسفة والائمة المشترعين قد اجمعوا على ان عماد الحكومات واركان شرائعها انما هي الديانة . قال افلاطون: ان الاستعانة بالله قبل كل شيءٍ لهي من اول الواجبات اه . وارسطاطاليس رسم في شرائعه العبادة الالهيّة وهكذا رأي باقي الفلاسفة . وقد كان الرومانيّون شديدي التمسك بعباداتهم ومثلهم باقي الامم والممالك كما نقرأ في تواريخ الأوّلين وذلك كما ابان المعلم روسو لأنّهم كانوا متفقين على ان الحكومة من دون ديانة لا تلبث ان يُثل عرشها ويذلّ بطشها ولا تسود الرعايا تهاب سلطةً ولا ولاية . قال افلاطون ولقد اصاب: " ان اوّل شيءٍ يلزم الحكومة ان توجّه نظرها اليه انما هو رعاية جانب الديانة الصحيحة لان رجال

الدولة لا تهذبهم الّا هذه الديانة اذ ان عدم معرفة الله لاعظم الآفات على كل حكومة ومن يسعى بابعاد الديانة فقد سعى بتقويض اركان الالفة » اه

قال المعلم ترتوليانوس: « انّ من لا يعتقد بوجود الله يسهل عليهِ مخالفة الشريعة لافتكارهِ بانهُ يقدر ان ينجو من عقوبتها امّا بالفرار او بتحمّل جزاء خفيف او قصير . امّا نحن الذين نؤمن بان الله يرى اعمالنا ونخاف ان يتعقبنا عليها بعذاب دائم فنرى ان تمسكنا بعمل المبرّات والحسنات خيرٌ لنا وازكى ومن ترى يظن انهُ لولا الديانة كان القويّ لا ينتقف الضعيف والخبيث الداهية لا يقتنص الأُمي الساذج بشرك دهائهِ » اه . قال القديس يوستينوس للامبراطور « انما نحن الوسيلة لتفيئك ظل الامن آمنًا مرتاحًا لاننا نعلم انهُ لا تخفى على الله خافية من الناس اشرارًا كانوا ام ابرارًا وان كلًّا منهم سوف يجازى بحسب اعمالهِ حيوةً ابديّة او عذابات أبديّة . على انهُ لو كان الجميع يعلمون هذه الامور لما عاد واحد منهم يتجرّأ على اتباع الرذيلة وترك الفضيلة لعلمه انهُ سيزجّ في المواقيد الدائمة . ولكن اولئك الذين يتخطون شرائعك يظنون انهُ لا يعوزهم الّا التخفي عن مراقبة جنودك ليتملصوا من العقوبات التي رتبتها عظمتك على الاشرار الاشقياء » اه

وقد تبقّى علينا ان نلمع في الختام الى فرض مهم توجبهُ علينا ديانتنا المقدّسة في حق السلطة الحاكمة وهو تقديم الصلوات والادعية في معابدنا بصورة حافلة كما اوعز بولس الرسول الى تلميذه تيموتاوس حيث قال (تيمو ٢: ١-٣): « فمن ثمّ اسأَلك قبل كل شيء ان تُقدم لله صلوة وتوسلًا . . . من اجل الملوك والعظماء ليحلوا عملًا هاديًا بجميع تقوى الله . . . فان هذا

حسن ومقبول لدى الله مخلصنا » . فامتثالاً لاوامر الرسول نُقيم نحن معاشر النصارى الراتعين في ظل الاريكة العثمانية ايدها الله الابتهالات الحارّة والادعية الخيريّة لاجل مليكنا وخاقاننا الاعظم المالك سعيداً ولاجل دولته العلية المرعيَّة بعين العناية الصمدانية وهذه التوسلات نرفعها في كل آن وقد رفعناها خصوصاً في مثل هذا النهار الذي هو عيد جلوس شوكته المأنوس وقلنا في ختام دعائنا : « اللهمَّ هذا دعاؤنا رفعناهُ اليك كما علَّمتنا ولا شكّ انهُ يكون لديك مستحسناً ومقبولاً كما وعدتنا » . ولمَّا كان القاء هذا الخطاب بمناسبة هذا العيد الجليل ومن جملة مجالي الاحتفال بهِ رأينا ان نقدمهُ مطبوعاً في هذه المجلة لمكارم عطوفة ملجأ ولايتنا الرشيد مع ما تقدّم وقمنا بهِ من فروض التهانئ والابتهال بمجالي الاجلال والاحتفال بالعيد المجيد الميمون المقرون بصنوف السعد والاقبال

(المشرق) اننَا نثني على راقم هذه الاسطر المنسنيور يوسف العلم وعلى خطابهِ المسجدي فان الادلة العقلية والنقلية التي اثبت فيها اصل السلطة الحاكمة وحقوقها وما للدين في عضدها من اليد الطولى لجدير باعتبار كل عاقل يحبّ الالفة ويريد بقاءها سالمةً من آفات الفوضى وعواقب الفتن الوخيمة في ظل الحكام الشرعيين ايّد الله سلطانهم و رشدهم الى كل ما فيهِ خير الرعايا وصالح الدولة